الذَّوْقُ الْإِنْسَانِيُّ
بَيْنَ
آدابِ الْإِسْلامِ والْإِتِيكِيتِ الغَرْبِي

محمد عبد المولى قاسم عبد الرحمن

أستاذ مساعد بقسم الثقافة الإسلامية

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

١٤٤١هـ – ٢٠٢٠م

:mohamedabdelmwlaa.٢٠١٣@azhar.edu.eg

ملخص الدراسة

جات الدراسة بعنوان " الذوق الإنساني بين آداب الإسلام والإتيكيت الغربي"، وقد تناولت تلك الدراسة من خلال النقاط التالية: أصالة المصدر بين آداب الإسلام والإتيكيت الغربي وأثره على الارتقاء بالذوق الإنساني، الذوق في التعامل مع النفس البشرية بين آداب الإسلام والإتيكيت الغربي وأثره على مراعاة الطبائع والغرائز والمشاعر الإنسانية، مساحة الذوق في العلاقات الإنسانية بين آداب الإسلام والإتيكيت، الذوق في استشعار الجمال والتعامل معه بين آداب الإسلام والإتيكيت،

والقبول والالتزام لقواعد الذوق بين آداب الإسلام وقواعد الإتيكيت.

Summary

This research deals "The human sense in the perspective of Islam and the western Etiquette", I have studied that through dealing the authenticity of source of Islam and western Etiquette, and its influence upon uplifting the human sense.

I dealt, too, the way of treating with human soul between Islam and western Etiquette, and its influence upon the nature, Instincts, and emotions of human being. After that, I dealt the range of sense in human relationships between Islam and western Etiquette. Beside that I dealt the sense in feeling of beauty and dealing with it in the perspective of Islam and the western Etiquette.

Finally I dealt the acceptance and commitment of sense rolls in the perspective of Islam and western Etiquette.

I hope that this research be a real addition in the Islamic library. Praise be to Allah, Lord of the all worlds.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أرسل رسولَه بالهُدى ودين الحق لتَزْكِية الناس وسعادتهم أجمعين، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً رسول الله، اصطفاه ربه على الخلق فكان أكمل الناس خَلْقاً وخُلُقاً، وأحسنهم أدباً وذوقاً، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آل بيته الأطهار، وارض اللهم عن صحابته الأخيار، ومن سار على دربهم وسلك طريقهم إلى يوم الدين.

وبعد،،،

فإن الارتقاء بالذوق الإنساني غاية من غايات الإسلام، ومهمة من المهام التي ابتُعِث رسول الله ﷺ من أجلها؛ ولهذا شرَّع الإسلام من الآداب والقواعد السلوكية ما يرتقي بالمسلم – إن استمسك بها وتجلل ببهائها وتزيَّن بحُلاها – إلى أعلى درجات الذوق الإنساني، تلكم الآداب عمَّت الخَلْق والزمان والمكان، وشملت كل علاقات الإنسان بربه سبحانه، ثم بنفسه وبكل مَنْ وما حوله من مخلوقات حتى الجمادات، بل طالت مِنْ الخلق مَنْ هم في عالم الغيب من الملائكة والجن.

تلك الآداب أنزلها رب العالمين سبحانه في وحيه، وجسَّدها رسول الله ﷺ وعاشها سلوكاً عملياً ومنهجاً حياتياً، وكذا صحابته الأجلاء ﷺ حيث كانوا يقتدون به ﷺ في كل أمور دينهم ودنياهم، ثم جاء مَنْ بعدهم من المؤمنين فنهجوا نهجهم وساروا على دربهم، وبهذا كان الذوق هو السمة البارزة لتعامل المسلمين وعلاقاتهم، فكان كل مسلم في ذوقه شامة بين الناس أينما حل أو ارتحل، فلفتوا أنظار غير المسلمين للإسلام، ودهشوهم بسلوكهم الراقي وذوقهم الرفيع، حتى كان الوقت الذي أصبح فيه المثل الأعلى للأوروبي أن يتشبه بالمسلم أو العربي – على حد تعبيرهم – في الفكر والسلوك واللغة، وكانت قمة التحضر والرقي

آنذاك في اتباع ثقافة المسلمين، ولم يكن مثقفاً في رأيهم من لا يحسن الكلام بالعربية ولا يتعلم آداب المسلمين وسلوكياتهم.

وأضحت البلدان الإسلامية منارات للذوق الإسلامي، وقبلة لطلاب الأدب والرقي والتحضر؛ من الأمراء والنبلاء وأبناء الطبقات الراقية في المجتمعات الأوروبية، وسرعان ما نقل هؤلاء وغيرهم آداب الإسلام وصهروها في بوتقة فكرهم وثقافتهم، وألبثوها ثوباً جديداً، ومع الوقت تطورت وظهرت في صورة فنون وآداب وسلوكيات في بعض جوانب حياتهم، عُرِفت – في عصرنا الحاضر – بفن " الإتيكيت "، وظهرت للناس في صورة برَّاقة لامعة، تم الترويج لها في كل المجتمعات بما فيها المجتمعات الإسلامية.

وفي الوقت الذي أخذ فيه الأوروبيون بآداب الإسلام وأفادوا منها إذ بفئات من المسلمين – في كثير من المجتمعات الإسلامية – يبتعدون عن الفهم الصحيح لحقيقة الإسلام الشامل والكامل، فيحصرون الدين في شعائر العبادات وأماكنها، ويهملون الأخلاق والآداب والسلوك، فهناك مَنْ غالى في فهم نصوص الإسلام؛ فوقف عند حدود الحلال والحرام، وشدد أكثر مما خفف، وعسَّر أكثر مما يسر، ونفَّر الناس من الإسلام بسلوكياته وتصرفاته، وهناك من انسلخ من هويته الإسلامية، وأصبح الإسلام بالنسبة له مجرد اسم في بطاقته، وافتقرت حياة المسلمين وعلاقاتهم وتعاملاتهم إلى قواعد الذوق والأدب، وصاروا يوصفون بالجمود والتطرف أو الانحلال والتفريط والتسيب، وبدلاً من أن يعودوا إلى مصادر الذوق ومنبع الآداب؛ كتاب الله وسنة صاحب الخلق العظيم ﷺ لينشدوا فيهما ضالتهم، ويصححوا مسارهم، ويعودوا إلى درب أسلافهم من الصحابة والتابعين في ذوقهم وأدبهم، إذا بهم ينصرفون خلف دعاة التغريب المفتونين بثقافة الآخرين، وما انبهروا به من نظام وتنظيم، وإدارة وانضباط ودقة ونظافة وجمال، وغير ذلك من مواصفات لامعة برّاقة صار يُضرب بها المثل بين المسلمين.

وتبدل الحال فأضحى المثل الأعلى للمسلم أن يتشبه بالغربي في فكره وثقافته ولغته وسلوكياته، وليس بمتحضر من لم يتعلم ويدرس فنون الإتيكيت والتعامل مع الناس، وصارت تُعْقد لذلك الدورات التي ينفق عليها من الأموال الكثير، ونسي هؤلاء أن تلك الفنون هي جزء من بضاعتنا، وأن مصادرها الرئيسة بين أيدنا، وأن تلك القواعد المبهرة البراقة ما هي في ميزان الذوق الإنساني الصحيح سوى زينة ظاهرة تخفي تحتها ركاماً من الأمراض الاجتماعية والأخلاقية،

من هنا كانت أهمية الكتابة في هذا الموضوع، والذي أسميته " الذوق الإنساني بين آداب الإسلام والإتيكيت الغربي " .

وتتلخص أسباب اختياري لهذا الموضوع وأهميته فيما يلي:

١. بداية بدأ تفكيري في هذا الموضوع منذ عام ٢٠٠٧م عندما كنت أدرس في دورة تدريبية في مجال التنمية البشرية وفن التعامل والإدارة بالمركز الثقافي البريطاني مع مجموعة من أساتذتي وزملائي، وكان المدرب من كبار المتخصصين في هذا المجال، فكان كلما ذكر قاعدة من القواعد إذا بنا نجد لها أصلاً في نصوص التشريع الإسلامي، فشغل فكري هذا الأمر حتى يسر الله لي الكتابة فيه.

٢. إن الذوق والأدب هو عنوان الإنسان في مظهره وسلوكه وتعاملاته وعلاقته بكل من وما حوله، وهو في ذات الوقت مقصد إسلامي وغاية سامية يربي عليها أتباعه من خلال آدابه.

٣. إهمال كثير من المسلمين في واقعنا المعاصر للذوق والأدب في تعاملاتهم وعلاقاتهم، جهلاً منهم بحقيقة الإسلام وشموليته واعتقاداً أن الذوق والأدب ليسا من الدين.

٤. تقدم المجتمعات الغربية المعاصرة في مجال التنمية البشرية وفنون التعامل والإتيكيت، وظهور تلك المجتمعات في صورتها العامة بمظهر سلوكي وحضاري متميز يلفت الأنظار.

٥. افتتان كثير من أبناء المسلمين – وبخاصة من الأجيال الحديثة – بفنون الثقافة الغربية وآدابها، وبالأخص فنون الإتيكيت والتعامل، والاعتقاد بأن الذوق والرقي الحضاري أوروبي الأصل والنشأة.

٦. اتهام الإسلام بالجمود والجفاء والتخلف بسبب تخلي كثير من المسلمين عن آداب الإسلام في تعاملاتهم وعلاقاتهم؛ مما أظهر الإسلام لغير المسلمين في صورة مشوهة.

أهداف البحث: تتلخص أهداف دراستي لهذا الموضوع فيما يلي:

١. إظهار عظمة الإسلام وسموه في الارتقاء بالذوق الإنساني، من خلال ما يمتلكه من آداب سماوية وتشريعات ربانية، عمت الخلق إنسهم وجنهم، وطالت الحيوان والجماد.

٢. العمل على إزالة الفهم الخاطئ للإسلام وحقيقته، وبيان أن الذوق والأدب جزء مكين في الدين وأصل أصيل في تعاليمه وتشريعاته.

٣. المقارنة بين آداب الإسلام والإتيكيت الغربي لمعرفة أيهماً أكثر تحقيقاً ومراعاة للذوق الإنساني، ومدى أصالة كل منهما ومصدره ونشأته.

٤. دفع ما يثار حول الإسلام من أنه دين الجفاء والغلظة، والجمود والتطرف، بإظهار صورته التي تتسم بالسموق الإنساني، والتفريق بين حقيقة الإسلام وبين سلوكيات بعض المنتسبين إليه.

٥. الرد على من يزعم بأن آداب الإسلام خلت من الذوق الإنساني لتصادمها مع بعض الطبائع البشرية والعادات والأعراف، وأنها لا تواكب المستجدات الحياتية.

منهج البحث وحدود الدراسة:

لقد اعتمدت في جمع المادة العلمية على المراجع العامة منها والمتخصصة، وذلك على الجانبين الإسلامي والغربي، ثم مواقع الإنترنت والمجلات والصحف الإلكترونية التي تهتم بفن التعامل والإتيكيت، وكذلك المقابلة الشخصية؛ حيث

التقيت بعدد ممن عاشوا بالمجتمعات الغربية لفترات معينة، وذلك للاستئناس بمشاهداتهم على أرض الواقع في معالجة بعض قضايا البحث.

وقد اقتضت الدراسة في هذا الموضوع الاعتماد عدد من المناهج البحثية وهي:

أ. المنهج التاريخي وقد اعتمدت عليه للوقوف على أصل الآداب الإسلامية ومصدرها ، وكذلك أصل الإتيكيت الغربي ومصدره ونشأته، بالرجوع إلى المصادر المعتمدة.

ب . المنهج الاستنباطي أو الاستدلالي: (وهو الذي ينتقل من المبادئ الكلية إلى الجزئية ومن القوانين العامة إلى الأحكام الفرعية)[1].

ج . المنهج المقارن، حيث قمت بمقابلة خصائص الذوق الإسلامي بخصائص الإتيكيت الغربي من خلال ما ورد من الآداب والقواعد التي يرتكز عليها كل منهما.

أما عن حدود ومحاور دراستي في هذا البحث فهي كالتالي:

١. تركز الدراسة للذوق الإنساني على الجانبين الإسلامي بآدابه والغربي بقواعد الإتيكيت، وذلك في المحاور التالية: المصدر والنشأة ودورها في تكوين الذوق الإنساني، مراعاة الطبيعة البشرية والمشاعر الإنسانية، مساحة الذوق في العلاقات والمعاملات الإنسانية، استشعار الجمال وتحقيقه وكيفية التعامل معه، امتلاك ضمانات الالتزام والتطبيق.

٢. الدراسة لا تعني بسرد الآداب الإسلامية أو قواعد الإتيكيت الغربي، فتلك دراسة تحتاج إلى مجلدات، وإنما يتم الاستشهاد ببعض النماذج وفق ما تتطلبه قضايا البحث المطروحة.

(١)البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة أ.د/ عبد الله على سمك ص١٠٢، ط أولى ١٩٩٤م.

الدراسات السابقة: لم أقف على دراسة مماثلة لهذا الموضوع، فمعظم من كتب في هذا الميدان تحدث بصورة موضوعية غير مقارنة عن الآداب والأخلاق الإسلامية.

خطة الدراسة

لقد جاءت الدراسة في مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على أسباب اختيار الموضوع وأهدافه، ومنهج البحث وحدود وخطته .

التمهيد: ويشتمل على التعريف بالكلمات المفتاحية للبحث.

المبحث الأول: مصدر الذوق الإنساني بين آداب الإسلام والإتيكيت.

المطلب الأول: مصدر الذوق الإنساني في الإسلام ودوره في الارتقاء به.

المطلب الثاني: مصدر الإتيكيت الغربي وأثره على الذوق الإنساني.

المبحث الثاني: الذوق في التعامل مع النفس البشرية بين آداب الإسلام والإتيكيت .

المطلب الأول: الذوق الإسلامي في التعامل مع الغرائز والمشاعر الإنسانية.

المطلب الثاني: موقف الذوق الغربي من الغرائز والمشاعر الإنسانية.

المبحث الثالث: مساحة الذوق في العلاقات الإنسانية بين آداب الإسلام والإتيكيت.

المطلب الأول: مساحة الذوق الإسلامي في العلاقات والمعاملات الإنسانية.

المطلب الثاني: مساحة الذوق الإنساني في قواعد الإتيكيت.

المبحث الرابع: الذوق في استشعار الجمال والتعامل معه بين آداب الإسلام والإتيكيت.

المطلب الأول: الذوق الإسلامي في استشعار الجمال والتعامل معه.

المطلب الثاني: معايير الجمال في الذوق الغربي والتعامل معه.

المبحث الخامس: القبول والالتزام بالذوق الإنساني بين آداب الإسلام والإتيكيت.

المطلب الأول: ضمانات القبول والالتزام بآداب الذوق الإسلامي.

المطلب الثاني: ضمانات القبول والالتزام بقواعد الإتيكيت الغربي.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات .

وبعد .. فقد أردت من هذا البحث بيان عظمة الإسلام في جانب التعامل الراقي بين بني البشر ، وما حث عليه من ذوق رفيع وأدب عالي ومراعاة للمشاعر الإنسانية ، فإن وفقت في ذلك فلله الحمد والمنة ، وإن تكن الأخرى فمن نفسي ، وأسأل الله عفوه ومغفرته .

التمهيد

التعريف بالكلمات المفتاحية للبحث:

أولاً: مفهوم الذَّوْقُ: الذوق في اللغة: مصدر ذاق يَذوق ذوقًا وذواقًا ومذاقًا، ويطلق على الحاسة التي يدرِك بها الإنسان طعم الشي، ويجربه ويختبره، عن طريق اللسان(١)، واللفظ أصيل في الاستعمال مع المحسوسات، كالطعام والشراب، وقد استعمل مجازاً في الأمور المعنوية؛ ومنه قوله تعالى:﴿ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾(٣)"(٤)، وقد استحدث استعمال لفظ الذوق مع الآداب والسلوك. " فيُقال: صاحب ذوق لمن يمتلك الأدب والسلوك، وعديم الذوق: لمن لا يلتزم بها، ويقال: قليل الذَّوْق: لمن هو خشن المعاملة"(٥).

مما سبق يتضح أن: لفظ "الذوق" في اللغة له استعمالان، الأول: وهو أصيل فيه ويطلق على تمييز طعم الأشياء المحسوسة، كالطعام والشراب، الثاني: وهو استعمال مجازي ويطلق على تمييز الأمور المعنوية مثل الرحمة والعذاب والإيمان، كما يطلق على استخدام اللائق من الآداب والسلوك وحسن المعاملة.

الذوق في الاصطلاح: لقد تعددت التعريفات الاصطلاحية للفظ الذوق ومنها:

---

(١) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المكتبة العلمية – بيروت ج١ص٢١١.

(٢) سورة التغابن: ٥ .

(٣) سورة الشورى: ٤٩.

(٤) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، ط١، ج١٠ص١١١.

(٥) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، ج١ص٨٣٠، تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزِي، ترجمة محمَّد سَليم النعَيمي، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط١، ٢٠٠٠ م ج٥ ص٤٠.

١. " الذَّوْقُ: مُباشَرَة الحاسَّةِ الظّاهِرَة، أَو الباطِنةِ"(١)، ويقصد بالحاسة الظاهر تلك التي تميز المحسوسات من مطعوم ومشروب، والباطنة التي تميز المعنويات من رحمة وعذاب، وما هو لائق وغير لائق من السلوك.

٢. الذَّوْقُ "حاسة معنوية يصدر عَنْهَا انبساط النَّفس أَو انقباضها لَدَى النّظر فِي أثر من آثَار العاطفة أَو الْفِكر. وَيُقَال هُوَ حَسن الذَّوْق للشعر، فهّامة لَهُ خَبِير بنقده"(٢).

٣. "آدابُ السلوك التي تقتضي معرفة ما هو لائق أو مناسب في موقف اجتماعيّ معيّن، والذَّوق العامّ: مجموعة تجارب الإنسان التي يُفسِّر على ضوئها ما يُحسّه أو يُدركه من الأشياء"(٣).

٤. الذَّوْقُ:" مجموعة من الطرق والعادات الشخصية التي تنظم السلوك الملائم في المجتمع، وقيل هو: هو حالة من السمو والجمال يرتقي بها الإنسان إلى مرتبة عالية في سلم الإنسانية(٤).

من التعريفات السابقة يمكن تعريف الذوق في المعنى العام: ملكة في النفس تنميها ما يتربى عليه الإنسان من قيم ومبادئ، يُقاس في ضوئها ما هو لائق أو غير لائق من سلوكيات وآداب، ويميز الإنسان عن طريقها الحسن والقبيح وفق مرجعيته، وما تربى عليه.

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج٢٥ص٣٢٦.

(٢)المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة. ج١ص٣١٨.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق ١/ ٨٣٠.

(٤) ذوقيات لأناقة الروح والسلوك، خالد بن صالح المنيف، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط الأولى/١٤٣٦هـ ٢٠١٥م ص٢٢، ٢٣.

وعليه فالذوق الإسلامي هو: ملكة فطرية في النفس تُنميها مراعاةُ تعاليم الإسلام وآدابه، تدفع الإنسان إلى إحسان التعامل مع نفسه ومَنْ وما حوله وتعينه على التمييز بين الحسن والقبيح، وفق قيم الإسلام ومبادئه، وترتقي به إلى أسمى درجات الإنسانية.

ثانياً: مفهوم الآداب: جمع أدب وهو في اللغة:" ما يَتَأَدَّبُ بِهِ الأَديبُ من النَّاس، وَقيل: هُوَ تَعَلُّمُ رِيَاضَةِ النَّفْسِ ومَحَاسِن الأَخْلاَقِ، واستعمالُ مَا يُحْمَدُ قَوْلاً وفِعْلاً، والأَدَبُ فِي اللُّغَة: حُسْنُ الأَخلاق وفِعْلُ المَكَارِم، وإطلاقُه على عُلُومِ العَرَبِيَّة مُوَلَّدٌ حَدَثَ فِي الإِسلام"(١).

وفي الاصطلاح: قيل:" اسْتِعْمَالُ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ. وَلِهَذَا كَانَ الْأَدَبُ: اسْتِخْرَاجَ مَا فِي الطَّبِيعَةِ مِنَ الْكَمَالِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ"(٢)، وقيل: هو اسْتِعْمَالُ مَا يُحْمَدُ قَوْلًا وَفِعْلًا"(٣).

فمصطلح الآداب يطلق ويراد كل ما يحمد من القول والفعل وهو أصيل في هذا المعني، غير أنه استحدث وشاع استخدامه مع العلوم الإنسانية والعربية، من لغة وأدب وشعر وغيرها.

ثالثاً: الإتيكيت:

أصل المصطلح: كلمة " إتيكيت" هي كلمة إنجليزية ذات أصل فرنسي، وكانت تعني في اللغة الفرنسية البطاقة: THE TICKET أي بطاقة الدعوة، وهي ما

(١) ينظر: تاج العروس ج٢ص١٢مرجع سابق، لسان العرب ج١ص٢٠٦مرجع سابق.

(٢) مدارج السالكين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م، ج٢ص٣٦١.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي وآخران، ج١٠ص٤٠٠.

كانت تُرسل إلى المدعوين لحضور حفل أو مناسبة، حيث كان يكتب عليها تعليمات الدعوة وما ينبغي الالتزام به من قبل المدعو، ثم انتقل المعنى إلى: الذوق العام والاجتماعي، قواعد السلوك والتشريفات وآداب الرسميات، الأصول واللِّياقة، فن المجاملة، الخصال الحميدة. (١).

وقيل إن أصل لفظ "إتيكيت" جاء من الكلمة اليونانية القديمة (ستيكوس) التي تعني: نظام الطبقات أو الفئات الاجتماعية، وبعض الباحثين أرجع أصل الكلمة إلى التعبير الألماني (Stechen) الذي يعني: السِّمة البارزة (٢).

وقد ظهر حديثاً في المعاجم الإنجليزية المعاصرة كلمة إتيكيت " etiquette " وتعني آداب السلوك أو المعاشرة(٣).

الإتيكيت اصطلاحاً: تعددت التعريفات لمصطلح الإتيكيت ومنها:

تعريف الموسوعة الأمريكية: " التهذيب واللَّباقة وحمل الفرد على تحسين علاقته مع الآخرين"(٤). تعريف الموسوعة البريطانية: هو" السلوك الذي يساعد الناس على الانسجام والتلاؤم مع بعضهم البعض، ومع البيئة التي يعيشون فيها" (٥).

---

(١) فنون الإتيكيت وآداب السلوك والمعاملة الراقية، د. سناء محمد سليمان، عالم الكتب ط١/٢٠١١م، ص ٢٣.

(٢) فن المعاملات أو الإتيكيت، د. ريمه الخاني، بحث إلكتروني منشور على شبكة الألوكة https://www.alukah.net/social/٠/١١٠٥٣٠/#ixzz٥hmKAAkfJ .

(٣) قاموس"THE DICTIONARY" انجليزي عربي دار الكتب العلمية بيروت . لبنان، ط١/٢٠٠٤م ص٢٩٥.

(٤) دبلوماسية الإتيكيت والمراسم في العمل السياحي، د.أحمد الجلاد، عالم الكتب،٢٠٠٩م، ص١٥.

(٥) نقلاً عن: الإتيكيت العائلي، دكتور محمد حسن المرزوقي، دورة في فن التعامل مطبوعة مارس ٢٠٠٧م.

وعرفته دكتورة سناء محمد سليمان[١] بأنه:" نسيج متواصل من القواعد والسلوكيات اللّبِقة التي توضح طريقة التصرف إزاء المواقف المختلفة التي نتعرض لها في حياتنا اليومية وحياتنا الخاصة أيضاً"[٢].

وعرفه دكتور/ أحمد الجلاد بأنه: مجموعة القواعد والمبادئ المكتوبة وغير المكتوبة التي تنظم المجاملات والأسبقية في مختلف المناسبات والحفلات والمآدب الرسمية والاجتماعية، وتدل هذه القواعد والمبادئ على الخلق السليم القويم الذي يجمع بين الحسن والرقة والبساطة والجمال [٣].

مما سبق يتضح أن: لفظ الإتيكيت أوروبي النشأة، وقد جاء بمعنى بطاقة الدعوة، والسمة البارزة، ونظام الطبقات الاجتماعية، وقد استحدث استخدام اللفظ مع معنى الذوق واللياقة والآداب، وظهر بهذا المعنى في المعاجم الحديثة والمعاصرة.

وقد تعددت التعريفات لمصطلح الإتيكيت، وكلها تدور حول: مجموعة القواعد والمبادئ المتفق عليها لتنظيم سلوكيات الناس في تعاملاتهم وفي المناسبات المختلفة والمحافل والمراسم.

وعليه: فإن مصطلح الذوق عام يخصص بارتباطه بغيره من المصطلحات فإذا ارتبط بالإسلام كانت مادته وقواعده آداب الإسلام وتشريعاته، وكان توجيهه وفق قيمه. وإذا ارتبط بالفكر والثقافة الغربية كانت مادته قواعد الإتيكيت الغربي، وكانت توجيهاته وفق القيم الغربية، أما مصطلح الآداب فهو أصيل في الجانب الإسلامي، والإتيكيت خاص بالجانب الغربي.

---

(١) أستاذ ورئيس قسم علم النفس جامعة عين شمس .

(٢) فنون الإتيكيت وآداب السلوك والمعاملة الراقية، دكتورة/ سناء محمد سليمان ص ٢٤ .

(٣)دبلوماسية الإتيكيت والمراسم في العمل السياحي، مرجع سابق ص١٧، ١٨.

من هنا كان اختياري للفظ الذوق الإنساني في عنوان البحث جرياً على عادة الناس والباحثين لشيوع استخدامه ولعمومه، واستخدمت مصطلح آداب الإسلام مع الجانب الإسلامي مراعاة لأصالة المصطلح في هذا المعنى وورود في اللغة العربية ونصوص السنة، ويرادفه مصطلح الذوق الإسلامي، كما استخدمت لفظ الإتيكيت على الجانب الغربي لشيوع اللفظ في الثقافة الغربية المعاصرة، ويرادفه مصطلح الذوق الغربي، وبهذا يكون معنى العنوان: دراسة الذوق الإنساني على الجانب الإسلامي حال ارتباطه بآدابه وقيمه، وعلى الجانب الغربي حال ارتباطه بقواعد الإتيكيت وتأثره بالثقافة الغربية.

المبحث الأول

مصدر الذوق الإنساني بين آداب الإسلام والإتيكيت.

مصدر الشيء أصله ومنبعه، وعلى قدر قوة الأصل وأصالته تكون رفعة الفرع وطيب ثماره، وإذ كنا نتحدث عن مصدر الذوق في الإنسان فإننا نتحدث عن روحه ومادة حياته وارتقائه، ومن ثم فإن صحة المصدر وأصالته تنمي الذوق الفطري في نفس الإنسان وترتقي به إلى أعلى درجات الإنسانية، وتكسبه جملة الآداب والقواعد التي يحسن توظيفها والتعامل بها، وعلى العكس من ذلك؛ فإن اعتماد الإنسان في تنمية ذوقه واكتساب آدابه على مصادر ضعيفة محدودة قاصرة يجعل من الذوق الإنساني حاسة واهنة لا تقوى على التمييز والتقدير، ومن ثَّم يختل ميزان الذوق في الإنسان فيُحَسِّن القبيح ويقبح الحسن، وقد يأتي بما يتصادم مع الفطر والعقول والطبائع السليمة، وإذا ما طبقنا تلك الحقائق على النموذج الإسلامي والنموذج الغربي فيما يتعلق بالذوق الإنساني تبين ما يلي:

المطلب الأول: مصدر الذوق الإنساني في الإسلام ودوره في الارتقاء به.

إن ارتباط الذوق الإنساني بالإسلام جعله يعتمد على مصادره الأصيلة قرآناً وسنة، ويرتبط بهما ارتباط الفرع بالأصل، والثمار بأشجارها، حيث يستمد منهما مادة حياته وما فيه قوامه ورقيه ورفعته وتميزه، هذا بالإضافة إلى اعتماد الإسلام للفطرة والتي هي لبنة الأساس للذوق في نفس الإنسان حال بقائها على طبيعتها النقية وصبغتها الربانية ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ (١)، وهذا الارتباط بالإسلام ومصادره الأصيلة وفطرته النقية من أهم ما يميز الذوق الإنساني، وينميه في نفوس بني الإنسان، ويتضح هذا من خلال ما يلي:

(١) سورة البقرة: ١٣٨.

أولاً: القرآن الكريم مصدر للذوق وآدابه: القرآن الكريم مصدر أصيل في الذوق الإنساني والتربية عليه، حيث ينميه في نفوس أتباعه ويرتقي بهم إلى أسمى درجاته، وذلك من خلال يلي:

١. الفاظ القرآن الكريم، لم أقصد هنا بلاغة الألفاظ وفصاحتها وبيانها فهذا نوع آخر من الذوق الأدبي وللقرآن الكريم فيه السبق، ولكن ما أقصده هنا هو حسن الألفاظ والعبارات ولياقتها، فلا يوجد في كتاب الله لفظ يخدش الحياء، أو يعكر صفو الفطرة النقية ، أو يخرج عن حد اللياقة والأدب، حتى في مواطن الذم والتوعد، بل وفي تناول أخص العلاقات الإنسانية [١].

٢. الأسلوب: للأسلوب القرآني الدور الأسمى في تربية المسلم على الذوق وتهذيبه وترقية سلوكه وأخلاقه، ويظهر هذا واضحا في حوارات القرآن الكريم التي تتسم بالأدب والذوق العالي وتربي قارئها على الذوق؛ ومنها – على سبيل المثال – حوار الخليل إبراهيم عليه السلام مع أبيه أو عمه وكذلك مع ولده في حوار الذبح، وحوار الهدهد مع نبي الله سليمان، وفي أساليب القرآن في عرض الآداب الإسلامية وما يتعلق بها.

٣. تناول موضوع الآداب والأخلاق: القرآن الكريم زاخر بالآيات التي تتحدث عن الآداب ويعرضها عرضاً مجملاً ومفصلاً في شتي المجالات الحياتية والميادين، فهناك سور من القرآن يغلب على آياتها عرض الآداب والأخلاق لدرجة أنه من الممكن أن يطلق عليها سورة الأدب، مثل سورة النور والحجرات، وهناك سور تتناول جانباً من الآداب والأخلاق في بعض أجزائها، فلا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من التعرض لهذا الجانب، وسيتضح هذا من خلال الاستشهاد بالآيات القرآنية في ثنايا البحث.

(١) سيأتي تناول تلك النقطة تفصيلاً في سياق الحديث عن الذوق الإسلامي في التعامل مع الغريزة الجنسية.

٤. التشديد في أمر الآداب: لم يأت تناول القرآن الكريم للآداب والأخلاق بصورة هامشية أو نافلة من القول، وإنما كان الحديث عن الآداب يُصَدر أو يُزَيّل بالتشديد والحث على تقوى الله ومراقبته في الالتزام بذلك، ففي سورة النور والتي غلب علي آياتها الحديث عن الآداب الراقية افتُتحت السورة بقوله تعالى:﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١)، وفي سورة الإسراء كان تذييل الحديث عن الآداب بقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾(٢)، وفي سورة الحجرات وهي سورة الأدب تُصدر السورة بقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣)، وفي هذا وغيره دلالة على توجيه القرآن الكريم إلى الاهتمام بالآداب الإسلامية.

" لقد قدم القرآن الكريم من خلال آياته أنموذجاً أخلاقياً –على المستوى النظري والعملي – بلغت درجته من الكمال بحيث لا يُبتغى وراءها شيء، كما كان للقرآن الكريم السبق في وضع دستور أخلاقي فاق النظريات والتصورات الأخلاقية التي وضعها الفلاسفة والمفكرون عبر العصور"(٤).

٥. تنمية الذوق الجمالي: لم يقتصر اهتمام القرآن الكريم بتنمية الذوق الإنساني على مستوى السلوك الإنساني والأخلاقي فحسب، وإنما كان تنمية الذوق الجمالي في نفس الإنسان هدف من أهداف القرآن الكريم كما سيأتي هذا تفصيلاً في المبحث الرابع من هذا البحث.

---

(١) سورة النور آية:١.

(٢) سورة الإسراء آية:٣٩.

(٣) سورة الحجرات آية:١.

(٤) ينظر للتفصيل : دستور الأخلاق في القرآن، محمد بن عبد الله دراز ، مؤسسة الرسالة ط١٠، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ص٨، التربية في الإسلام، د أحمد الأهواني ص١١٢،١١١، دار المعارف مصر.

٦. على الجانب المعنوي: إن التعلق بكتاب الله تعالى والارتباط به ومطالعة آياته وتدبرها يهذب نفس الإنسان ويرتقي بذوقه، وقد ثبت أن غالب أهل القرآن متميزون في ذوقهم وخلقهم ومظهرهم نتيجة التربية على كتاب الله والتعلق به[١]، وبهذا كان القرآن الكريم مصدراً مهماً من مصادر الذوق الإسلامي التي يتربى عليها المسلم ويستقي منها آدابه وأخلاقه.

ثانياً: السنة النبوية نموذجا عملياً للذوق الراقي:

السنة النبوية المطهرة – المصدر الثاني للإسلام– هي وَحْي من الله لرسوله ﷺ ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٢]، وتعد السنة المطهرة مصدراً رئيساً ونموذجاً عملياً واقعياً للذوق الإسلامي لما يلي:

١. فهي الترجمة العملية لما جاء في القرآن الكريم من آداب وأخلاق، وقد كان ﷺ يطبق آداب القرآن الكريم تطبيقاً عملياً، تقول أُمُّنَا السيدة عائشة – رضي الله عنها – عندما سئلت عن خلق الرسول ﷺ:(كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ)[٣]، فقد كان التزام الأدب الراقي وامتثال الخلق الحسن السمة البارزة في حياة النبي ﷺ وفي كل تصرفاته وسلوكياته، حتى وصل ﷺ لدرجة من الذوق والخلق استحق معها أن

(١) ينظر للباحث: الكتاتيب القرآنية ودورها في تربية النشء، بحث منشور بمجلة كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، العدد السادس والعشرون،٢٠١٣/٢٠١٤م، ص ٣١٢٩وما بعدها.

(٢) سورة النجم آية: ٣ ،٤.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تخريج :شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م،ج٦ص٩١حديث رقم٢٤٦٤٥.

يصفه ربنا سبحانه بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١]، " أي وإنك يا محمد لعلى أدب رفيع جم وخلق فاضل كريم، فقد جمع الله فيك الفضائل والكمالات"[٢] .

٢. جاءت سنته ﷺ – القولية والعملية– مفصلة في باب الآداب والأخلاق ما أجمله القرآن الكريم، وأضافت إلى ما جاء به القرآن الكريم في هذا الباب على المستوى النظري والتطبيقي، فقدم ﷺ – بذلك – نموذجاً عملياً واقعياً في الذوق الإسلامي لم يرق إلى مثله أحد من البشر قبله أو بعده ليكون سراجاً منيراً يهتدي به كل طالب ذوق وأدب، وبهذا اكتمل البناء الأخلاقي في الإسلام في حياة النبي ﷺ ، وكانت كل لبناته من وحي الله – عز وجل – قرآناً وسنة.

٣. حُفظت آداب الرسول ﷺ وتوارثها المسلمون جيل بعد جيل محفوظة في الصدور والسطور، فأفردوا للأدب أبواباً في مصنفاتهم من كتب السنة، كما وضعت الكتب المتخصصة في قواعد الذوق والأدب والسلوك[٣]، وكلها تنهل وتغترف من فيض القرآن الكريم وكتب السنة المطهرة؛ المصدران اللذان لا ينضب معينهما، والمحفوظان بحفظ الله إلى قيام الساعة.

٤. هذا ولم يقتصر الأمر على نقل أحاديث الآداب وحفظها وتدوينها، بل كان الالتزام بتلك الآداب وتطبيقها عند الرعيل الأول من المسلمين ومن اقتدى بهم إلى يومنا جزء لا يتجزأ من الدين، يتعلمها العالم والمتعلم والغني والفقير، ويربون عليها أبناءهم، فقد "رُوِيَ عَنْ عُمَرَ ﷺ قَالَ: تَأَدَّبُوا ، ثُمَّ تَعَلَّمُوا، وَقَالَ ابْنُ

---

(١) سورة ن آية: ٤.

(٢) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ ، ج ١ص٤٠١.

(٣) فقد أفرد الإمام البخاري للأدب كتاباً جمع فيه مائة وسبعاً وعشرين باباً من أبواب الآداب العامة غير كتب الألبسة والأطعمة والأشربة والاستئذان، بل أفرد للأدب كتاباً غير صحيحه أسماه " الأدب المفرد"، وكذلك الإمام مسلم في صحيحه حيث جمع أحد عشر باباً من أبواب الآداب العامة، وكذلك الأئمة النسائي والترمذي وأبو داود وأحمد، وغيرهم.

الْمُبَارَكِ قَالَ لِي مَخْلَدَةُ بْنُ الْحُسَيْنِ نَحْنُ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ الْأَدَبِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى كَثِيرٍ مِنْ الْحَدِيثِ"(١).

وهكذا كان تلقي المسلمون الأوائل ومن سار على دربهم لآداب الإسلام والتزامهم بها، حيث ارتبطت في وجدانهم وعقيدتهم بالدين، فكانت عندهم جزء لا ينفصل عنه، ولم يفرقوا بين الفرائض والسنن، ولا بين المعاملات وآدابها، فالكل من عند الله وإلى الله.

ثالثاً: الفطرة السليمة من موازين الذوق.

سبق بيان أن الذوق ملكة في النفس، ومنهم من أطلق عليها حاسة تُميز المعنويات كما تميز حاسة التذوق المحسوسات، والمقصود بتلك الملكة في الإسلام الفطرة السليمة التي أوجد الله الإنسان عليها، والتي لم يحدث لها تغيير أو انتكاس، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢)، ومما أودع الله فيها من ملكات القدرة على التمييز بين الخير والشر والحسن والقبيح، قال تعالى:﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ* وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾(٣) ، تلك الفطرة الربانية التي لم يعتريها تغيير تتوافق مع كل ما جاء من عند الله تعالى من آداب إنسانية، وتكسب صاحبها ذوقاً سليماً يتعامل به في كل تصرفاته وسلوكيات حياته، أما الفطر المريضة أو المنتكسة فإنها قد ترى الفحش ذوقاً ، والأدب جلافة وقبحاً.

---

(١)الآداب الشرعية، عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، ت: شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة . بيروت، الطبعة : الثالثة ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.ج٣ ص٥٢٢، ٥٢٤.

(٢) سورة الروم آية: ٣٠ .

(٣) سورة البلد آية: ٨ – ١٠ .

وقد أشار الرسول الكريم ﷺ إلى أهمية الفطرة السليمة باعتبارها أساساً مهماً في تمييز الحسن من القبيح – وهو حقيقة الذوق – كما جاء في الحديث الشريف عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الأَنْصَارِي قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ فَقَالَ (الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاس) (١).

فالفطر السليمة من مصادر الذوق السليم ورافداً من روافده، بل هي نواة الذوق في نفس الإنسان، تغذيها وتنميها تعاليم الإسلام وآدابه، وقيمه التي يستقيها المسلم من مصادر الوحي الرباني، فترتفع بها قواعد الذوق على هذا الأساس ويكتمل بناؤه، وكلما اكتسب الإنسان أدباً أو التزم بقيمة ارتقى ذوقه وارتفع في أعلى درجات الإنسانية.

المطلب الثاني: مصدر الإتيكيت الغربي وأثره على الذوق الإنساني.

الإتيكيت – كمصطلح وفن يهتم بالآداب والسلوك الإنساني – لم يظهر في ثقافة المجتمعات الغربية إلا في العصر الحديث، وقد كان هناك عدد من العوامل التي أسهمت في صياغته حتى صار بهذه الصورة، ووصل إلى تلك الدرجة من الأهمية حيث يساهم بنصيب كبير في تشكيل الذوق الإنساني في الغرب وتوجيهه، ويمكن تلخيص ذلك في ثلاثة مصادر كما يلي:

أولاً: الموروثات الثقافية من الحضارات الأوروبية القديمة.

لقد سجلت كتب التاريخ والحضارة اهتمام الأوربيين منذ العصور القديمة بدراسة السلوك الإنساني والأخلاقيات والآداب التي تنظمه على يد الفلاسفة والحكماء،

(١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري،:دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج٤، ص١٩٨٠، حديث رقم ٢٥٥٣ .

وظهرت على مر التاريخ الكثير من النظريات التي تهتم بقضايا السلوك الإنساني، والتي أصَّلت للقيم والأفكار والنظريات الأخلاقية والسلوكية الحديثة، بل وأسهمت في تشكيل الثقافة الغربية الحديثة عموماً بما في ذلك الأخلاق والآداب، فلم تنقطع الصلة بين النظريات الأخلاقية عند فلاسفة الحضارات القديمة وبين فلاسفة أوروبا المحدثين، فالأخلاق عند كثير من رجال الفكر المحدثين هي نفسها عند فلاسفة اليونان وغيرهم، ولكن في ثوب جديد، فإن كلا من ديكارت[١] وكانط [٢] – على سبيل المثال – قد ترسما خطى الرواقيين[٣] في النظرية الأخلاقية القائلة بأن الفضيلة هي أساس الأخلاق وهي نابعة من فكر الإنسان[٤] .

(١) رينيه ديكارت(١٥٩٦ – ١٦٥٠)، فيلسوف، وعالم رياضي وفيزيائي فرنسي، يلقب بـ"أبو الفلسفة الحديثة"، وديكارت هو الشخصية الرئيسية لمذهب العقلانية في القرن١٧ م، ينظر: الموسوعة العربية العالمية،١٠/٥٧٢، ط٢، الرياض: ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

(٢)إيمانويل كانت أو كانط هو فيلسوف ألماني من القرن الثامن عشر (١٧٢٤ – ١٨٠٤). عاش كل حياته في مدينة كونيغسبرغ في مملكة بروسيا .كان آخر الفلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوروبية الحديثة. وأحد أهم الفلاسفة الذين كتبوا في نظرية المعرفة الكلاسيكية. ينظر: الموسوعة العربية العالمية ١٩/٩٧مرجع سابق.

(٣) الرواقيون أو الرواقية أو أصحاب الرواق لفظ يطلق على مدرسة فلسفية شهيرة أنشأها فيلسوف يدعى " زينون الكتيومي" بمدينة أثينا أوائل القرن الثالث ق.م، وقد اتخذ هذا الاسم نسبة إلى رواق ذا أعمدة منقوشة كانت تلقى فيه المحاضرات: الفلسفة الرواقية، دكتور عثمان أمين، لجنة التأليف والترجمة القاهرة،١٣٦٤هـ ١٩٤٥م، ص٥.

(٤) ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ٢٠١٤م، ص٢٧٦– الفلسفة الرواقية، مرجع سابق ص٢٦٩، ٢٧٠.

وكذلك القول – حديثاً – بمذهب المنفعة العامة وأنها مصدر الأخلاق [١] هو في أصوله العامة صورة متطورة لمذهب اللذة[٢] الذي نادى به الأبيقوريون[٣] وغيرهم من فلاسفة اليونان والرومان قديماً[٤].

وعلى الرغم من ظهور الديانة المسيحية في تلك الفترة وسيطرة الكنيسة على المجتمع الأوروبي لفترات طويلة؛ إلا أن بعض فلاسفة الأخلاق في العصر الحديث جنحوا إلى ضرورة إيجاد منظومة أخلاقية مستقلة عن منظومة الأخلاق الدينية، ففي فرنسا مثلاً – حاضنة فن الإتيكيت ومكان نشأته – " نمت الأخلاقيات أكثر استقلالاً وانفصالاً عن الدين، وفي مجالات الروح الإنسانية والعطف والتسامح وحب البشر والعمل على تعزيز السعادة الإنسانية والسلام؛ انتقل الأمر من أساس لاهوتي إلى أساس علماني أو دنيوي، وأثرت على المجتمع بشكل لم يعهد له مثيل من قبل" [٥].

---

(١)هو مذهب فلسفي أخلاقي حديث مستمد من مذهب اللذة قديماً، يرى أصحابه أن الخير في تحقيق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس ، ينظر: مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، د. توفيق الطويل، مطبعة النهضة المصرية ط١٩٥٣/١، ص٧٥وما بعدها .

(٢)اللذة مذهب فلسفي أخلاقي قديم يرى أصحابه أن المتعة أفضل أطايب الحياة، ففلاسفة اليونان القديمة بنوا فلسفتهم الأخلاقية على فكرة أن اللذة هدف الحياة الأوحد، وفي الفلسفة الحديثة يعتقد القائلون بمذهب اللذة أنه يجب على الناس ألا يبحثوا عن متعهم الفردية فقط، ولكن عن المتعة لأكبر عدد من الناس، الموسوعة العربية العالمية ، ص١٠٨ ، ١٠٩ مرجع سابق.

(٣) نسبة إلى المذهب الذي أسَّسه الفيلسوف اليونانيّ أبيقورس ٣٤١ – ٢٧٠ ق. م، وهو مذهب ماديّ يتَّخذ اللَّذة هدفًا أعلى للحياة السعيدة وقبل كلّ شيء اللَّذة الروحيّة العقليّة، وملاك هذه الحكمة العمليّة عندهم المنطق والعلم الطبيعيّ، المرجع: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، ج١ص٥٧.

(٤)ينظر :المشكلة الخلقية، دكتور زكريا ابراهيم، وكتبة مصر ص١٤٧ وما بعدها، في الفلسفة والأخلاق، دكتور محمد كمال ابراهيم جعفر، دار الكتب الجامعية ١٩٦٨م ص ١٧٧ ، ٢١٣ .

(٥) قصة الحضارة ول ديورانت، المجلد التاسع، الجزء الرابع، ص ٢٥٤، الموسوعة العربية العالمية ٣٥١/١.

وبالتالي فإن النظريات والمذاهب الفلسفية الأخلاقية قديماً أسست لتلك النظريات والقيم الأخلاقية الحديثة، والتي كنت مصدراً من مصادر الإتيكيت الغربي.

فإذا عرفنا ذلك وأضفنا إليه أن تلك النظريات والمذاهب القديمة أقامت نظرياتها الأخلاقية على أسس مادية بحتة – كما سيأتي بيانه – تبين مدى التأثير السلبي الذي يعود على قواعد الإتيكيت وسلوكياته، حيث الاهتمام بالجوانب المادية وإهمال ما عاداها.

ثانياً: الاقتباس من الحضارة الإسلامية:

كانت المجتمعات الأوربية في العصور الوسطى[١] تعيش حالة من الظلام والكآبة، وتفتقر إلى أدنى آداب الذوق والإنسانية، حيث كانت ظلمات الجهل تخيم عليها في كل جنبات الحياة، وظلت تلك المجتمعات على هذا الحال، حتى التقى الأوربيون بالمسلمين واختلطوا بهم، سواء في الحروب، أو في البلدان المفتوحة، أو عن طريق البعثات التي جاءت من بلاد أوروبا إلى حواضر العالم الإسلامي، فأخذوا يقتبسون من أدب المسلمين ويقلدونهم في كثير من خصائصهم ولغتهم، وأصبحت اللياقة والذوق والأدب في التخلق بأخلاق العربي[٢] والتحدث بلسانه، حيث وصل الأمر إلى أن " أصبح المثل الأعلى

(١) العصور الوسطى: يمتد تاريخ العصور الوسطى من سقوط الإمبراطورية الرومانية (القرن الخامس الميلادي تقريبا) وحتى القرن السادس عشر الميلادي. ويطلق على تلك الفترة الزمنية القرون المظلمة، حتى بدأت حركة الثقافة في أوروبا متأثرة بالأندلس الإسلامية واستمرت حتى بدأ عصر النهضة الأوربية في القرن الرابع عشر الميلادي. ينظر: الموسوعة العربية العالمية ١٦/ ٢٩٠،٢٨٩،٢٧٧ بتصرف.

(٢) لفظ "عربي" يستخدم في الغرب بديلاً عن لفظ مسلم، ويظهر هذا في الفكر والثقافة الغربية.

للأوربي أن يتشبه بأتباع محمد ﷺ في أنماط الفكر والمعيشة والسلوك ، بل واللغة فلم يكن مثقفاً ولا متحضراً في رأيهم من لا يحسن العربية"(١).

ولم يقتصر الأمر على طلاب العلم، بل إن ملوك أوروبا كانوا يرسلون أبناءهم من الأمراء والنبلاء إلى بلاد الأندلس وغيرها من حواضر العالم الإسلامي لتعلم الذوق والأدب، وشتى العلوم والمعارف العربية، وكان من أشهر تلك البعثات ذات المستوى الرفيع بعثة ملك انجلترا جورج الثاني لابنة أخيه مع مجموعة من النبلاء إلى بلاد الأندلس في أوائل القرن الخامس الهجري(٢).

وقد شهد المؤرخون الغربيون وبعض المستشرقين في تلك الفترة أن المسلمين أكثر تهذيباً وثقافة من المسيحين وأن الأوربيين اقتبسوا من الحضارة الإسلامية في شتى الفنون والآداب(٣).

فكانت آداب الإسلام وذوقياته السامية، التي ظهرت في سلوكيات المسلمين وأنماط حياتهم، محط إعجاب واهتمام ونقل وتقليد الأوربيين.

غير أن التعامل والالتزام بتلك الآداب الإسلامية المنقولة – من قبل الأوربيين – كان أولاً: قاصراً على أفراد الطبقات الراقية في المجتمع الغربي، حيث إن هذا الفن يعرف بأنه فن الطبقات الراقية، ويظهر هذا في التعريفات السابقة للإتيكيت.

---

(١) المستشرقون والإسلام، المهندس زكريا هاشم زكريا، سلسلة لجنة التعريف بالإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مصر، إشراف محمد توفيق عويضة، الكتاب العشرون١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ص١٦ بتصرف.

(٢) ينظر: كواشف زيوف، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني ، دار القلم، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م، ١/٤١، الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، عبد المجيد حامد صبح، دار المنارة، المنصورة – مصر، ط الثانية ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، ج١ص١٥٧.

(٣) ينظر: كواشف زيوف، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني ،ج١ص٣٧وما بعدها، المستشرقون والإسلام، المهندس زكريا هاشم زكريا، ص٨، الرد الجميل على المشككين في الإسلام، ج١ص١٥٦.

ثانياً: إن تلك الآداب الإسلامية التي أقتبسها الأوربيون لم يبقوها جميعها على أصلها، وإنما أعادوا تشكيلها حيث " تم تطويع تلك الآداب بما يتوافق مع حضارتهم المادية، وعادات مجتمعاتهم وتَحَررهم من بعض القيود الأخلاقية"(١)، وذلك تأثراً بنظرياتهم الفلسفية السابقة.

ثالثاً: ظهور الإتيكيت كمصطلح وفن:

في العصر الحديث كانت بداية ظهور الإتيكيت كمصطلح وفن له قواعده – كما يرى الباحثون – في فرنسا ما بين منتصف القرن السادس عشر أو السابع عشر الميلادي، فكثير من القواعد الرسمية يرجع نشأتها إلي البلاط الملكي الفرنسي في عهد الملك لويس السادس عشر، حيث وُضعت قائمة بكل الأعمال اليومية، وصُنِّفت تحت مسمي "اتيكيت".

وقيل إن أول من فكر في قواعد الاتيكيت بُستاني فرنسي في عهد الملك لويس السادس عشر، حينما كان يعمل بالحديقة كان يضج من نوافذ القصر زوار الملك بدون انتظام؛ لهذا فقد فكر في تصميم بطاقة دعوة لتنظيم زيارات الوافدين، وتم عرضها علي الملك فوافق وأمر باستخدامها، ومع بداية القرن التاسع عشر بدت الحاجة إلى كتابة وتقنين قواعد للإتيكيت والبروتوكول(٢) فتم عقد مؤتمر (فيينا) عام ١٨١٥م ، ومن بعده مؤتمر (آيكس لاشيل) عام ١٨١٨م ثم اتفاقيتا (فيينا) عام١٩٦١و١٩٦٣م، ثم نَقلت الدول الأخرى قواعد البروتوكول والإتيكيت هذه إلي بلادهم، ووضعت كل دولة القواعد الخاصة بها، وفي الوقت نفسه نقلت

(١) ينظر: فنون الإتيكيت وآداب السلوك، أد. سناء محمد سليمان، مرجع سابق ص١٨ وما بعدها.

(٢) البروتوكول: هي لفظة ذات أصل يوناني، ويقابلها في العربية المراسم والتشريفات، وقيل: وثيقة تحتوى على محضر محادثات يجريها ممثلون دبلوماسيون... وتطلق أيضا على قواعد التشريفات (الطرق الصحيحة) لمراسم الدولة. الموسوعة العربية العالمية ٣٧٨/٤.

الطبقات العليا في كل المجتمعات الغربية هذه القواعد[1]، وقد توسعت فيه الدراسات وأنشئت من أجل ذلك المعاهد وعقدت الدورات، وأصبح جزءاً مهما من علوم التنمية البشرية .

وبهذا يتضح أن الإتيكيت – باعتباره آداب المعاشرة وقواعد السلوك الإنساني وأخلاقياته – موجود في المجتمعات الأوروبية منذ القدم وقد وضع قواعده ونظرياته الفلاسفة والحكماء على مر العصور، أما الإتيكيت كمصطلح وفن له قواعده وآدابه فقد ظهر في فرنسا مع بدايات العصر الحديث، وانتقل إلى باقي بلاد أوروبا والعالم.

التعقيب والمقارنة: مما سبق يتضح ما يلي:

١. إن مصادر الذوق الإسلامي (قرآناً وسنة) مصادر إلهية معصومة ومحفوظة بحفظ الله تعالى، وهذا يعطى لقواعد الذوق وآدابه موثوقية وثباتاً وقبولاً وموائمة لكل البشر في كل زمان ومكان، ويعد عامل قوة وارتقاء، أما الإتيكيت الغربي فمصادره في مجملها أفكار واجتهادات بشرية، حتى ما أُخذ من آداب الإسلام تم تطويعه بتدخل بشري، وبالتالي فإنها افتقرت إلى الحفظ والموثوقية ومن ثم القبول والإلزام، وسيأتي تفصيل ذلك في حينه.

٢. اعتماد قواعد الذوق الإسلامي على المصادر الربانية والفطرة النقية جعلها أكثر موائمة وملائمة للنفس البشرية، وموازنة بين جوانبها المادية والروحية، وهذا قمة الذوق؛ لأن منزل الوحي وما فيه من آداب هو خالق النفوس وفاطر الفطر، أما الإتيكيت فقد اعتمد على نظريات مادية بحتة، وهذا بدوره جعل قواعد

---

(١) ينظر: فن الإتيكيت، شيرين المصري، ص٥، كتاب إلكتروني، مكتبة نور، فنون الإتيكيت وآداب السلوك ، أ د. سناء محمد سليمان، ص٣٨ وما بعدها مرجع سابق– نشأة وتطور الإتيكيت، دراسة على موقع أبحاثك https://abhasak.blogspot.com/ .

الإتيكيت تراعي جانباً على حساب جانب آخر، وتجنح بالفطر السليمة إلى الفساد والانتكاس.

٣. لقد قدمت مصادر الإسلام أنموذجاً عملياً واقعياً للذوق الإسلامي وآدابه في أعلى وأرقى درجاته، ممثلاً في الجانب العملي من سنة النبي ﷺ إلى جانب النصوص الشرعية النظرية.

أما قواعد الإتيكيت فإنها نظريات وأفكار ربما لم يلتزم بها واضعوها، ولم ترتق إلى حيز التطبيق إلا من قبل بعض الفئات أو الطبقات.

٤. وأخيراً: فمصادر الذوق الإسلامي ترتقي به إلى أعلى درجات الذوق والإنسانية والموثوقية والموائمة والقبول، ومصادر الذوق الغربي تفقده القوة والثقة وتنحدر به إلى المادية.

المبحث الثاني

الذوق في التعامل مع النفس البشرية بين آداب الإسلام والأتيكيت.

إن النفس الإنسانية آية من آيات الله – سبحانه وتعالى – خلقها وأودع فيها من الغرائز والشهوات الفطرية ما فيه قوام حياة الإنسان وبقائه، كما أودع فيها من الطبائع والمشاعر ما يميزه عن باقي الكائنات، ويهيئه لوظيفته التي خلق من أجلها، غير أن تلك الغرائز والشهوات تحتاج إلى ما يضبطها ويهذب سلوكها، وكذلك فإن مشاعر النفس وحالاتها تتطلب معاملة خاصة، وفيما يلي بيان لدور الذوق الإنساني في التعامل مع النفس البشرية وطبيعتها، على الجانبين الإسلامي والغربي:

المطلب الأول: الذوق الإسلامي في التعامل مع الطبائع والغرائز والمشاعر الإنسانية(١).

الذوق الإسلامي – كما سبقت الإشارة – يستمد آدابه من وحي الله رب العالمين ويزن الأمور وفق ضوابط الإسلام وتشريعاته فهو إلهي المصدر، والنفس الإنسانية وما احتوته من غرائز ومشاعر، وما جبلت عليه من طباع وما يعتريها من أحوال، هي صنعة الله الخالق ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾(٢)، وبالتالي فإن كل ما يأتي من عند الله تعالى يتوافق مع خلقه ويَصْلح لهم ويُصْلِحهم،

ويتضح هذا فيما يلي:

أولاً: الذوق في التعامل مع الطبائع البشرية والعادات والأعراف:

إن من سنن الله تعالى في خلقه اختلاف النفوس، وتختلف تبعاً لذلك الطبائع والأهواء، كما تختلف العادات التي تربى عليه كل فرد بل وكل جماعة أو

(١) سيقتصر الباحث على نماذج فقط من الغرائز ومن المشاعر والذوق في التعامل معها.

(٢) سورة الشمس آية: ٧.

مجتمع، سواء فيما يتعلق بالمأكل أو الملبس أو الحياة الخاصة أو العامة، وإن من الذوق الإسلامي مراعاة تلك الفروق في الطباع والعادات والأعراف التي لا تتناقض مع تعاليم الإسلام، ولا تصطدم بنصوص شريعته، وهذا النوع من الآداب الذي تظهر فيه مرونة التشريع الإسلامي وذوقه الراقي في التعامل مع الإنسان.

فالآداب الإسلامية على نوعين:

النوع الأول: تعبدي أو كسبي، جاء به أمر أو نهي تشريعي، كأدب الأكل باليمين وعدم الإسراف، وأخذ الزينة في المظهر عند المسجد والجماعات، وستر العورة في اللباس وعدم التشبه بالجنس الآخر، والاستئذان عند دخول البيوت، ونظافة المسكن والطريق وغيرها من جملة الآداب، فمثل هذا النوع ينبغي الالتزام به وإن خالفت آدابه طبائع المجتمعات وعاداتهم لأنها سنن تعبدية تعلمها المسلمون من رسول الله ﷺ، وجاء بها أمر صريح، وهي في نفس الوقت أمور كسبية يتربى عليها المسلم من طفولته، ولا يحرجه الالتزام بها.

النوع الثاني : الآداب الفطرية المرتبطة بالنفس الإنسانية والعادات والأعراف المجتمعية، وهي ناشئة مع البشر وتختلف أذواق الناس فيها باختلاف النفوس والمجتمعات والأزمان، فإن الإسلام لم يتدخل فيها بل احترمها وقدرها، ولم يجبر أحداً على تغيير بعض طباعه أو أعرافه المقبولة مالم تخالف الشرع، بل إن الإجبار على ذلك يتنافى مع الذوق، مثل موضوع الطعام والشراب واللباس واختلاف أذواق الناس فيها، كحب نوع معين من الطعام وبغض نوع، أو استخدام أدوات في تناول الطعام، أو قبول لعق الأصابع ولعق الإناء، أو ارتداء زي معين يختلف من مجتمع لآخر، فإن الالتزام بمثل تلك الآداب يرجع لأمرين؛ أولهما: عدم الاصطدام بنص أو مخالفة شرع، وثانيهما: قبول النفس الإنسانية لها وموافقتها للعادة والعرف، فتلك الآداب والذوقيات لم يفرض الإسلام الالتزام بها، ولم يجبر أحدا عليها– مالم تخالف نصاً أو تصطدم بشرع – وذلك احتراماً

للخصوصيات وحفاظاً على المشاعر، فلم يلزم الإسلام أحداً بحب نوع معين من الطعام لحب الرسول ﷺ له، اللهم إلا إذا كانت نفسه تتقبله وتحبه لحب رسول الله ﷺ له وطلباً للبركة والفضل، مثل ما ورد من حب رسول الله ﷺ للدباء(١)، وعدم قبول نفسه لأكل لحم الضب(٢)، فلا يلزم أحد بذلك ولا يعد من الأمور التعبدية أو الآداب والذوقيات التي يجب الالتزام بها، ويقاس على ذلك غيرها من الآداب غير التعبدية التي وردت عن رسول الله ﷺ، لكن من التزم بتلك الأشياء حباً في رسول الله ﷺ واقتداء به فله أجر ذلك عند الله.

وقد فصَّل علماء الأصول هذا النوع من الآداب في كتبهم، وأسموه بسنة العادة أو سنة الزوائد ومما ورد في ذلك: " سنة العادة هي الأفعالُ النَّبويَّةُ في غيرِ أمرِ التَّعبُّدِ، كصفةِ أكلِهِ ﷺ وشُربِهِ ونوْمِهِ ولِبَاسِهِ ومَشْيِهِ ورُكوبِهِ، ونحوَ ذلكَ، فإنَّ الاقتداءَ بالنَّبيِّ ﷺ فيها فضيلَةٌ، فذلكَ من بابِ التَّشبُّه بهِ، وهو ممدُوحٌ، ما لمْ يُعارضْ مصلحةً أرجَح.

وهذا بابٌ جرى فيه الحالُ النَّبويُّ على مُقتضى الطَّبع البَشريِّ، أو على مجارَاةِ العُرفِ الَّذي لم يُخالفُ الدِّين، فما كان منه بمقتضى الطَّبعِ فالسُّنَّةُ فيه أن يُجاريَ الإنسانُ طبعَ نفسِهِ ما دامَ لا يُخالفُ الشَّريعة، وبذلك يحقِّقُ الاقتداءَ بأتمّ من تحقيقِهِ له لو تكلَّف وتصنَّع بخلافِ طبعِهِ ليُوافقَ المِشْيَةَ النَّبويَّة أو القِعدَة النَّبويَّة، وإن كان جاريًا على موافقةِ العُرفِ كلُبسِ الإزارِ والقميصِ الطَّويلِ، فإنَّ السُّنَّةَ الَّتي ينبغي المتابعةُ فيها هي أن يُجاريَ المُسلمُ عرفَ بيئتِهِ وزمانِهِ في ذلك ما

(١) الدباء القرع وثبت بالأحاديث المتفق على صحتها حب الرسول ﷺ لها، صحيح البخاري، ج٢ص٧٣٧حديث رقم١٩٨٦، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ط٣، ١٤٠٧ – ١٩٨٧تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، صحيح مسلم، ج٣ص١٦١٥حديث رقم٢٠٤١ .

(٢) حديث رفض الرسول ﷺ أكل لحم الضب لأن نفسه تعافه متفق: صحيح البخاري ج٥ ص٢٠٦٠حديث رقم٥٠٧٦، صحيح مسلم ج٣ ص١٥٤٣ حديث رقم ١٩٤٦.

دامَ لم يُخالفْ شرعًا في نوعِ لباسِهم وهيئتِهم، ويكونُ قَدْ خالفَ الاقتداءَ بمخالفةِ العرفِ، لأنَّ الكونَ في المجتمعِ والنَّاسِ على سبيل الموافقةِ لا المخالفَةِ مقصودٌ لئلاَّ يقعَ التَّميُّزُ ومن ثمَّ الارتفاعُ على الخلقِ والتَّزكيةُ للذَّواتِ، وإنَّما يدعُ المسلمُ من العُرفِ ما خالفَ الشَّرعَ في أمرٍ أو نهيٍ"(١).

فـ " أفعال الرسول عليه الصلاة السلام الجبلية التي يفعلها بحكم صفته البشرية مما لا يتعلق بالأحكام الشرعية كالنوم والمشي ولبس البياض من الثياب والاختضاب بالحناء، فهذا القسم لا يعتبر من الحكم التكليفي إلا بنية متابعة الرسول ﷺ التي تدل على شدة التعلق والاقتداء به (٢)، فإن الاقتداء في هذه الأمور وأمثالها كمالي، ويعد من محاسن المكلف لأنه يدل على حبه للرسول ﷺ وفرط تعلقه به، ولكن من لم يقتد بالرسول في مثل هذه الأمور لا يعد مسيئا، لأن هذا ليس من تشريعه ﷺ، ويسمى هذا القسم مستحبا وأدباً وفضيلة"(٣).

وبالتالي فإن إلزام الإنسان بشيء مما يتنافى مع طبعه ويتصادم مع فطرته ويتناقض مع عاداته – مما ليس من الأمور التعبدية– فيه إحراج له ، وهذا ليس من الذوق في شيء، كمن يطلب من إنسان درج وتربى على تناول الطعام بالملعقة أو استخدام الشوكة والسكين أن يتناول الطعام بيده، أو أن يلعق أصابعه، بل إن من الذوق احترام عاداته طالما أنها لا تتنافى مع تشريع، ويقاس على ذلك كل الآداب المتعلقة بالطبائع الشرية والعادات والأعراف المجتمعية،

(١) تيسيرُ علم أصول الفقه، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م– ج١/٣١، ٣٢.

(٢)الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا،ط٢، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م، ١/٣٤٢ .

(٣)علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، مكتبة الدعوة، عن الطبعة الثامنة لدار القلم١/١١٢ .

وفي هذا رد على من يزعمون أن آداب الإسلام لا تصلح لزماننا أو تصطدم مع بعض العادات والفطر.

ثانياً: الذوق الإسلامي في التعامل مع الغرائز الإنسانية □

(الغريزة الجنسية نموذجاً):

إن منهج الإسلام في تعامله مع الغرائز والشهوات الإنسانية يتسم بالذوق الرفيع، وإن أول ما يلفت النظر في هذا الأمر هو تلك النظرة الواقعية المتوازنة لتلك الغرائز وما يتبعها من شهوات، حيث الاعتراف بها وتقديرها وإقرار وجودها ومكانتها في الطبيعة البشرية، قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾(١)، وتلك النظرة هي في حد ذاتها نوع من الذوق الراقي في احترام الإنسان ككائن بشري، لأنها قدرت قيمته الإنسانية وطبيعته البشرية، فلم تنظر إليه على أنه ذا طبيعة ملائكية ومن ثَمَّ تحرجه وتضيق عليه بإهمال غرائزه وشهواته، ولم تنحط به عن درجة الإنسانية فتطلق لشهواته العنان وتخرجه من إنسانيته.

وفي الوقت ذاته شرَّع الإسلام الآداب والذوقيات التي تهذب تلك الغرائز وتُرَشِّد سلوك الإنسان في إشباعها بصورة معتدلة، بلا إحراج وتضييق ولا انفلات وإباحية، وفق ضوابط وآداب تسمو بتلك الغرائز من المادية البحتة إلى الإنسانية الهادفة، ويتضح هذا من خلال النموذج التالي:

الذوق الإسلامي في التعامل مع الغريزة الجنسية:

الغريزة الجنسية من أقوى الغرائز وأشدها خطرا على نفس الإنسان إذا لم تُضبط ويوجه سلوكها التوجيه الصحيح، من هنا كان اهتمام الإسلام بتلك الغريزة

(١) سورة الشمس آية: ١٤.

والتعامل معها بذوق والارتقاء بها إلى أعلى درجات الإنسانية، ومن الدلائل على ذلك ما يلي:

١. الأسلوب الراقي في تناول النصوص المقدسة لتلك الغريزة: من الذوقيات والآداب التي ينبغي تصدير الحديث بها في هذا الموطن هو ذلكم الأسلوب الراقي العفيف الذي تناولت به نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة تلك الغريزة وما يتعلق بها من أحكام، فبرغم روايتها أدق تفاصيل العلاقة الزوجية، والحديث عن أمور اللقاء الجنسي وغيره، إلا أنه لا يوجد لفظ يخدش الحياء الإنساني، أو يحرك مكامن النفس ويثير الشهوة، أو يتصادم مع الفطرة السليمة، أو يعتدي على المشاعر الراقية، ومن الأمثلة على ذلك قول الله تعالى: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾[١]، وقوله:﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾[٢]، وفي حديث رسول الله ﷺ :(إِذَا الْتَقَى الْخِتَانَانِ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ) [٣]، إلى غير ذلك من النصوص التي تصل إلى المعنى المراد بألفاظ عفيفة دون ابتذال أو خدش للحياء.

٢. الحث على إشباعها بطرق مشروعة: من مظاهر الذوق الإسلامي في التعامل مع الغرائز والشهوات توجيه الإنسان إلى استثمارها بصورة بنَّاءة فاعلة، و إشباعها بطريق صحيح، فأباح للإنسان الزواج بعدد معين ووفق ضوابط وآداب تتوافق مع طبيعته لا يتخطاها، قال تعالى: ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [٤]، وجعل الإسلام إشباع تلك الغريزة حقا واجبا لكل من الزوجين على الآخر، بل إن من أعلى درجات الذوق الإسلامي في هذا الباب

(١) سورة البقرة آية:٢٢٣.

(٢) سورة النساء آية:٤٣.

(٣) سنن ابن ماجة ج١ص٣٨٣حديث رقم٦٠٧.

(٤) سورة النساء آية:٣.

أن جعل إشباع الشهوة الجنسية في طريقها المشروع باباً من أبواب الصدقة كما جاء في حديث أبي ذر ﷺ أن رسول ﷺ قال: (وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ قَالَ أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي الْحَرَامِ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلالِ كَانَ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ) (١).

٣. ترشيد السلوكيات الغريزية وتهذيبها: ثم جاءت قواعد الذوق الإسلامي لترشد السلوكيات المنبثقة عن تلك الغريزة، وتلبسها ثوب العفة والطهارة والحياء وتهذبها. حيث شرع الإسلام من الآداب والذوقيات ما يحفظ للإنسان غريزته دون هياج أو تحرك إلا مع زوجه، ونهي عن كل ما يثير تلك الغريزة من فعل أو قول أو حتى إشارة، فأمر بغض البصر، وشرَّع آداب الاستئذان بين الأغراب عند دخول البيوت وبين الأقارب داخل البيت حتى الأطفال؛ وذلك سداً لباب الفتنة حتى لا تقع عين الإنسان على شيء يثيره أو يحرك في نفسه كامناً، ففي حديث سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:(إِنَّمَا جُعِلَ الاِسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ) (٢).

وقد ركز الإسلام في آدابه على سلوكيات المرأة لأنها مكمن الإثارة والفتنة للجنس الآخر، فحثها على التستر والعفة وعدم إظهار ما يثير الرجال، ووضع قواعد الذوق العامة في لباس المرأة وزينتها، وأسلوب تعاملها مع الرجال وطريقة كلامها ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (٣)، بل وحركتها خارج بيتها وطريقة مشيتها: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ

(١) صحيح مسلم، ج٢ ص٦٦٧ حديث رقم١٠٠٦.

(٢) صحيح البخاري ج٥ ص٢٣٠٤حديث رقم٥٨٨٧، صحيح مسلم، ج٣ ص١٦٩٨ حديث رقم٢١٥٦.

(٣) سورة الأحزاب آية: ٣٢.

زِينَتِهِنَّ﴾ [١]، ثم ينهى حتى عن مجرد الكلام في أمر الغريزة الجنسية خارج إطار العلاقة الزوجية، فينهي عن الرفث وفحش الكلام، وعن نشر أحد الزوجين سر تلك العلاقة للآخرين، ففي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:(إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِى إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِى إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا)[٢]، إلى غير ذلك من الذوقيات والآداب التي لا يتسع المقام لسردها، والتي تعمل جميعها على إخراج تلك الغريزة من إطارها الحيواني إلى الرقي الإنساني والطهارة والنقاء، ومن ثم الاستقرار النفسي والعاطفي لكلا الجنسين على حد سواء.

وهكذا مع كل الغرائز الفطرية في الإنسان، حيث جاءت نظرة الإسلام إليها متوافقة مع طبيعتها ومعتدلة في التعامل معها، وتلك النظرة في ذاتها نوع من الذوق في التعامل مع النفس البشرية.

ثالثاً: الذوق الإسلامي في التعامل مع المشاعر الإنسانية: من خصائص الطبيعة البشرية امتلاك المشاعر والعواطف، وهي " حالة من الإحساس الداخلي أو الوجداني تنتاب الإنسان نتيجة أمر ما أو تأثير معين، كالقلق والحزن والفرح والألم وغيرها، تؤدي بطبيعتها إلى تغيرات نفسية وجسدية، ومن الممكن أن تؤثر على سلوك الشخص" [٣]

وهي من الأمور التي تميز الإنسان عن باقي المخلوقات الأخرى والتي توجد بها بنسب متفاوتة، ولقد تعامل الإسلام مع تلك المشاعر والأحاسيس بذوق عال

---

(١) سورة النور آية:٣١.

(٢) صحيح مسلم، ج٢ ص١٠٦٠ حديث رقم١٤٣٧.

(٣) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق : محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة طبعة جديدة ، ١٤١٥، ج١ص٧٢، ١٦٥– معجم اللغة العربية المعاصر٢/١٢٠٥، ١٢٠٧.

حيث قدَّر وجودها في الإنسان وراعاها في الحالات المختلفة، من النماذج الدالة على ذلك:

١. الذوق في التعامل مع عاطفة الأمومة ومشاعرها: لقد أودع الله –عز وجل – في نفس الأم جملة من العواطف والمشاعر التي تهيئها لتلك الوظيفة السامية والمهمة العالية، تلك المشاعر تجعل الأم في حالة من حالات الضعف، فقد تصاب بالهلع أو الخوف والقلق، أو غير ذلك من حالات الاضطراب، ومن الذوق الإسلامي التعامل مع تلك المشاعر برقة ولطف دون إنكار أو إجحاف أو سخرية، وهذا ما يعلمنا إياه القرآن الكريم ورسولنا ﷺ .

فتأتي قمة الذوق الإنساني في موقف سيد الخلق ﷺ (إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ) وفي رواية: (مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ ")[١]، إنه ذوق وإنسانية فاقا كل المبادئ والنظريات والفلسفات، ففي الوقت الذي يقوم فيه الرسول ﷺ بين يدي ربه في العبادة، ويحب أن يطيل فيها لا ينسى أن هناك أُمّاً قد تلتهب مشاعرها وينخلع قلبها وقد يصيبها من الهلع ما يصيبها عند بكائه، فيراعي حرقة فؤادها ويتجوز في الصلاة.

٢. الذوق في التعامل مع مشاعر الحزن والفرح: الحزن والفرح من الحالات الفطرية التي تعتري الإنسان، وتلك أمور لا إرادية وقد يجد كثير من الناس صعوبة في التغلب عليها، ومع أنها قد تخرج الإنسان أحياناً عن طبيعته، إلا أن الإسلام راعى تلك المشاعر، فاعترف بها وأقرها قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾[٢] ،(وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ

(١) صحيح البخاري، ج ١ص٢٥٠حديث رقم٦٧٥، ٦٧٧ .

(٢) سورة النجم آية: ٤٣.

قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْه) [١]، فلم ينكر الحزن ولا الفرح، لكن في نفس الوقت وضع قواعد الذوق التي تهذبها وتضبطها حتى لا تخرج بالإنسان عن حدود الأدب مع الله ومع الناس فمن الذوق في التعامل مع أهل البلاء والمصابين:

أ. مكافأة المحزونين والمهمومين من المصابين تطييباً لخاطرهم ومواساة لهم وتعويضاً عن فقدهم فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ (حَزَنٍ) وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ) [٢] ، وفي هذا مراعاة للمشاعر وطمأنة للنفس الإنسانية.

ب . عدم الإثقال على أهل البلاء في النصح والكلام تقديرا لحالهم: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: (" مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ, فَقَالَ لَهَا: اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي " قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي – وَلَمْ تَعْرِفْهُ – فَقِيلَ لَهَا إِنَّهُ النَّبِي ﷺ فَأَتتْ بَابَ النَّبِي ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْده بَوَّابِين، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرفك، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنّمَا الصَّبْرَ عِنْدَ الصَدْمَةِ الْأُولَى)[٣].

فالرسول ﷺ لم يرد عليها مراعاة لظروفها النفسية ومشاعر الوجد عندها، وكان من الممكن أن يرد عليها بل أخر البيان والنصح لما بعد ذلك، وفي رواية أنها

(١) صحيح البخاري، ج٣،ص١٣٠٥، حديث رقم٣٣٦٣ .

(٢) صحيح البخاري ،ج٥ص٢١٣٧ حديث رقم٥٣١٨، صحيح مسلم،ج٤ص١٩٩١،حديث رقم٢٥٧٢.

(٣) صحيح البخاري، ج١ص٤٣٠حديث رقم١٢٢٣.

ردت عليه رداً شديداً كما في رواية أخرى: (فقالت: وما تُبالي أنتَ بمصيبتي؟)[١] ، ورغم ذلك راعى حالها.

ومن الذوق في التعامل مع مشاعر الفرح: عدم التضيق على الناس في وقت الفرح مادام في حدود الشرع خاصة في الأعياد والمناسبات، فعن السيدة عائشة – رضي الله عنها – قالت:(دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعَاث، فاضطجع على الفراش وحَوَّل وجهه، ودخل أَبو بكر فانْتَهَرَنِي وقال: مِزْمَارة الشيطان عند النبي ﷺ فأقبل عليه رسول الله ﷺ وقال "دعهما" فلما غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فخرجتا)[٢]، فالرسول ﷺ لم يعكر عليهن صفو فرحهن في يوم العيد رغم كرهه لهذا الأمر.

وبالتالي فالذوق الإسلامي لم يكبت تلك المشاعر ويعتبرها عيباً، ولم يطلق لها العنان لتخرج بالإنسان عن حدود الدين والأدب، وإنما أعطى الإسلام فسحة ومساحة للإنسان في التعبير عن مشاعر الفرح والسرور بصورة مهذبة.

٣. الذوق في مراعاة مشاعر المخطئين:

لم يقتصر الذوق الإنساني في الإسلام على احترام مشاعر الإنسان فيما يطرأ عليه من حالات حزن وفرح وقلق، بل إن قمة الذوق أن تراعى مشاعر الإنسان عند الخطأ وفعل ما يستهجن أو يستقبح من الفعال، ولقد ضرب رسولنا ﷺ المثل الأعلى في الذوق الإنساني في تعامله مع تلك الفئة من الناس، فعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، قَالَ: فَرمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ: وَاثَكْل أُمياه ما شَأْنَكم ؟

(١) رواه أبو داود، وصححه الألباني، ج٢ص٣٧٢حديث رقم٣١٢٤، مختصر سنن أبي داود، الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، ت: محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.

(٢) صحيح البخاري، ج١،ص٣٢٣، حديث رقم٩٠٧ .

تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟! قَالَ: فَضَرَبَ الْقَوْمُ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصمتتُونَنِي، لَكِنِّي سَكَتُّ, قَالَ: فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فوَاللهِ مَا كَهَرَنِي[١]، وَلَا ضَرَبَنِي ، وَلَا سَبَّنِي وَلَكِنْ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الصَّلاة لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِراءةُ الْقُرْآنِ)[٢] .

فهذا إنسان يتصرف في العبادة بما يتنافى معها غير أنه كان جاهلاً بالأمر، ومع ذلك لاقى ممن حوله ما لاقي من الاستنكار والاستهجان، لكن رسول الله ﷺ يعلم صحابته ويعلم أمته الذوق والأدب في التعامل مع أمثال هؤلاء حيث" استدعاه وتوقع معاوية نهرًا وتعنيفًا بل شتمًا وضربًا نظرًا لما لاقاه من الصحابة من استنكار، فإذا به يجد العطف والرحمة والخلق الحسن العظيم يتلقاه على وجه رسول الله ﷺ وعلى لسانه، فيسمع تعليمًا هادئًا لينًا، وتعلم منه أن الصلاة لا يحل فيها كلام الناس، وإنما هي تسبيح وتكبير وقراءة القرآن" [٣].

وفي موقف الأعرابي الذي بال في المسجد[٤] وهو موقف مشابه حيث إن الأعرابي ارتكب فعلاً يعد في حكم الدين وفي عرف الناس جُرماً، حتى أن الناس هموا به زجراً ونهراً وتقبيحاً، لكن الرسول ﷺ وهو المؤدب المعلم، يراعي فيه

(١)الكهر: الانتهار. وقد كهره يكهره، إذا زبره واستقبله بوجه عبوس، النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، ج٤ ص٢١٢ .

(٢) صحيح مسلم، ٥٣٧/٣٨١/١ .

(٣) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، دار الشروق، ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م، ج٣ ص١٤٤ .

(٤) الحديث في : سنن ابن ماجه، ج١، ص٣٣٢، حديث رقم٥٢٨ .

حالة الجهل وعدم العلم بقداسة المكان، فيشير إلى الصحابة ألا يقطعوا عليه بولته حتى لا يتعرض للضرر والأذى.

مما سبق يتضح مدى ما وصلت إليه آداب الإسلام وتشريعاته من ذوق عال في التعامل مع النفس البشرية وما جبلت عليه من طبائع وغرائز وخصائص بشرية، فنظرت إلى الغرائز نظرة واقعية وعملت على تهذب سلوك الإنسان نحوها، كما احترمت المشاعر الإنسانية ووجهتها التوجيه الصحيح، وفي نفس الوقت راعت الطبائع البشرية والعادات والأعراف.

المطلب الثاني: موقف الذوق الغربي من الغرائز والمشاعر الإنسانية.

تبين فيما سبق من تعريفات للذوق بمعناه العام أنه ميزان السلوك والتصرفات والحسن والقبيح، ويكون ذلك وفق القيم(١) والمرجعية المتعارف عليها، وإذا ما رجعنا إلى مرجعية الذوق الغربي وقيمه التي يرتكز عليها والتي في ضوئها يقيم الأشياء ويمايز بين حسنها وقبيحها، وما هو لائق وغير لائق، تبين – كما سبق – أنها مرجعية مادية تقوم على أساس اللذة(٢) أو المنفعة(٣)، " فالقيم في الغرب تقاس بقدر ما تحقق من منافع مادية ولذة وسعادة ، واللذة أو المنفعة هي نوع من الفضائل والمثالية عندهم، وهي سعادتهم المنشودة، والغاية القصوى المرغوب

---

(١) القيم:" مستوى أو مقياس أو معيار نحكم بمقتضاه ونقيس به، ونحدد على أساسه المرغوب فيه والمرغوب عنه"، وفي الفكر الغربي " الأشياء التي تكون موضع اهتمام أو نفع أو شغف" ، " ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقاً للتقدير كثيراً أو قليلاً" : القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، دكتور مانع بن محمد بن على المانع ، دار الفضيلة الرياض،ط١/١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م ص١٨ ،١٩.

(٢) سبق التعريف بمذهب اللذة.

(٣) مذهب المنفعة يعتبر في أصوله العامة صورة متطورة لمذهب اللذة يقوم على أساس أن اللذة أو المتعة خيراً أسمى، هي الغرض الوحيد الذي تهدف إليه رغبات الإنسان، وأنها مستوى الأفعال الإنسانية ومعيار الأحكام الخلقية. ينظر: في الفلسفة والأخلاق، د. محمد كمال ابراهيم جعفر، دار الكتب الجامعية، ١٩٦٨م، ص٢١٣.

فيها عامة للفعل الإنساني والتي تسعى إليها القيم النفعية في المجتمع الغربي المعاصر، وعلى ذلك فالإنسان الذي لا يحقق سعادته الخاصة يكون فاقد العقل؛ لذلك فليس من الفضيلة أن يضحي الفرد بسعادته من أجل سعادة الآخرين"(١).

بل لقد أصبح تحقيق اللذة والمنفعة عندهم يعني الخير والقيمة الأخلاقية، وحرمان اللذة – أيُّ لذة – يعني الشر، حيث يرى أصحاب مذهب اللذة الأخلاقي:" إن الناس ينبغي أن ينشدوا على الدوام لذتهم، فاللذة وحدها هي الخير في ذاته، ولا شيء سواها يحمل في ذاته قيمة" (٢).

ومن ثَمَّ سلك الغربيون كل طريق لتحقيق السعادة وتحصيل اللذات؛ فسيطرت المادية على فكرهم وثقافتهم، وتقييمهم للأمور، وصارت هي المحرك الأساس لكل نشاطاتهم الإنسانية بما في ذلك الغرائز والشهوات، " لقد أصبحت المادية في الغرب هي المعيار والميزان والمقياس الوحيد الذي يُقَيَّم بها كل شيء بما في ذلك الإنسان نفسه وما يتعلق به من أمور"(٣)،

وهذا ما شهد به مفكروهم يقول "جود"(٤): (إن نظرية الحياة التي تسود على هذا العصر وتحكم عليه في العالم الغربي هي النظر في كل مسألة وشأن من ناحية المعدة والجيب، وقد أجاد صحفي أمريكي مشهور في تشبيه هذه النفسية في

---

(١) ينظر: القيم الأخلاقية ، دكتورة سامية عبدالرحمن عبدالسلام ص١١٤، ٩٩ نقلاً عن: القيم بين الإسلام والغرب، دكتور مانع بن محمد بن على المانع،ص١٦٥وما بعدها، مرجع سابق.

(٢) مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، د توفيق الطويل، النهضة المصرية، ط ١١/ ١٩٥٣م، ص٢٢.

(٣) الشرائع والأخلاق بين الحضارة والانحطاط، محمد نجاح شبيب، دار الفكر بيروت، ص١٣٦، ١٣٧ .

(٤)**هو الأستاذ جود"□□□□÷رئيس قسم الفلسفة ، وعلم النفس ، وأحد كبار المعلمين فى " جامعة لندن ".**

كتابه " في داخل أوروبا بقوله :"إن الإنجليز إنما يعبدون بنك إنجلترا ستة أيام في الأسبوع ويتوجهون في اليوم السابع إلى الكنيسة) [١].

ولقد كان من الطبيعي في ظل تلك المعتقدات والأفكار والتصورات أن تتغير الفطرة الإنسانية أو تنتكس أحياناً، وأن تختل موازين الذوق الإنساني وآدابه لتحسن ما هو في ميزان الفطرة والذوق السليم قبيح ، وهذا ما ظهر في موقف الذوق الغربي وقواعد الإتيكيت من الغرائز والمشاعر:

أولاً: موقف الذوق الغربي من الغرائز البشرية:

في ظل القيم المادية السائدة في المجتمعات الغربية والبحث عن اللذة والمتعة كان من الطبيعي أن تعطى للغرائز والشهوات مساحة كبيرة من حياة الإنسان وسلوكياته، على اعتبار أنها مصدر اللذة والسعادة، وعلى قدر إشباعها تكون اللذة والسعادة، فانطلقت الغرائز والشهوات من لجامها وانحدر السلوك الغريزي للإنسان إلى درجة تتنافى مع الذوق السليم، وطغت المادية على المشاعر والعواطف الإنسانية، ولم تتمكن قواعد الآداب والإتيكيت الغربي من ضبط تلك السلوكيات الغريزية الجارفة أو تهذيبها، بل كانت – في بعض الأحيان – أداة من أدوات إثارتها، ولقد ظهر هذا واضحاً في تعامل الذوق مع الغرائز الإنسانية ، ويتضح هذا من خلال الحديث عن الغريزة الجنسية كنموذج فيما يلي:

الغريزة الجنسية: فيما يتعلق بالغريزة الجنسية – على سبيل المثال – نجد سلوكيات الأفراد والجماعات وتصرفاتهم تتخطى حدود الذوق الإنساني تحت مسمي الحرية، وبدافع من اللذة وتحقيق السعادة، حيث يُعد إشباع تلك الغريزة نوع من الحرية الشخصية التي ينبغي أن يتمتع بها الإنسان طالما أنه لا يصطدم بقانون، ولا يغتصب أو يكره أحداً، مهما كان هذا الأمر فيه اعتداء على المشاعر

(١) نقلاً عن : الغزو الفكرى عقبات وتحديات فى طريق الدعوه أ.د محمود محمد رسلان، دار اللواء القاهرة ١٩٩٦م صـ٢٣٧،٣٤٨.

الإنسانية أو خدش لحياء ذوي الحياء، وليس للذوق الإنساني أو قواعده (الإتيكيت) أو الدين بتشريعاته أن يقفا في طريق ذلك.

تقول السيدة " Barbara Geiger"[١] :(إنها تؤمن بالله وبالدين ولها الحرية الكاملة في نفسها لتعاشر من تشاء في أي وقت أو مكان بعلاقات لا صلة لها بالزواج وقالت إنها تعيش مع صديق لها وتحبه وليس للدين دخل في ذلك، وقالت إن لها الحق أن تكشف ما تشاء من جسدها فهو ملكها وليس للدين أن يتدخل في حريتها وإذا كشفت جسدها فليس للرجل أن يتعدى عليها بدون إذنها)[٢]، وبالتالي وتحت مسمى الحرية يتبادل الشاب والفتاة أو الرجل والمرأة القبلات وغيرها من بعض الأفعال الجنسية في قارعة الطريق أو الحدائق والأماكن العامة والمتنزهات [٣] دون حرج أو خجل، وليس من الذوق أو الإتيكيت منعهم أو التدخل في حريتهم الشخصية، بل إن هذا يعد من سوء الأدب والتطفل ولا يعد من قواعد اللياقة والتحضر، وقد يصادق الرجل المرأة المتزوجة ويختلى بها، وقد يرقص معها أمام زوجها، وليس من قواعد الإتيكيت الاعتراض أو رفض ذلك، ناهيك عن الخيانة بعلم الزوج[٤].

(١) هي محامية ألمانية ولدت في لندن عام ١٩٥٥م وقد ذكرت هذا الكلام في حوار أجراه معها الدكتور / عبد الله قادري الأهدل في يوم ١٤٠٧/١١/١٠هـ ، نقلاً من حوارات مع أوروبيين غير مسلمين د/ عبد الله أحمد قادري الاهدل دار القلم. دمشق. ط١ سنة ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م صـ٧٢ .

(٢) حوارات مع أوروبيين غير مسلمين. مرجع سابق صـ٧٢،٧٣ بتصرف .

(٣) ذكر هذا أكثر من واحد ممن أجريت معهم المقابلات المتعلقة بهذا البحث.

(٤) في ١٩٨٠/٥/٢٩م نشرت جريدة الشرق الأوسط اللندنية أن ٧٥٪ من الأزواج يخونون زوجاتهم وأن عددًا أقلّ من ذلك من الزوجات يفعلن نفس الشيء، ويتم علم أحد الزوجين بخيانة الآخر دون أن يؤثر ذلك على استمرار الحياة الزوجية بينهما، معاناة المرأة في الغرب، بحث إلكتروني http://www.alminbar.net/.

بل لقد أصبحت قواعد الإتيكيت المتعلقة بزي المرأة وحركاتها وزينتها وتعاملها مع الرجال عاملاً من عوامل إثارة الغريزة الجنسية بين الجنسين وتهييج الشهوة، فعظم قواعد الإتيكيت المتعلقة بالمرأة تعمل على إظهار أنوثتها وجمالها أمام الآخرين، في مظهرها وزيها، وحديثها ومشيتها وحركاتها، وقيامها وجلوسها(١)، فمن قواعد الإتيكيت أن توافق المرأة الموضة في ملبسها ولها أن تتكشف أو تتعرى كيفما تشاء في موافقتها للموضة ، بل إن من قواعد الإتيكيت مصافحة الرجل للمرأة الأجنبية، وتقبيلها أثناء التحية(٢)، وغيرها من السلوكيات الغريزية المستهجنة عند أصحاب الذوق السليم، كل ذلك من قواعد الذوق واللياقة عند الغربيين ومَنْ على شاكلتهم، ومن لم يلتزم بها يوصف بالجمود والتخلف.

وقد نتج عن ذلك فساد أخلاقي وانحلال وسلوكيات لا تتصادم مع الذوق فحسب ولكن مع كل قوانين الإنسانية، ومن ذلك ظهور الشذوذ الجنسي وتبادل الزوجات وانتشاره لدى بعض الفئات، وانتشار الأندية والأماكن المخصصة لمزاولته(٣).

فأي ذوق هذا وأي اتيكيت في مثل تلك البيئة التي انتكثت فيها الفطرة، وتدنت الإنسانية إلى مرتبة أدني من مرتبة كثير من المخلوقات الحية كالطيور والحيوانات التي تغار على إناثها وتأبى فعل تلك الخصال والسلوكيات المشينة.

---

(١) ينظر: فنون الإتيكيت د. سناء محمد سليمان ص١٤٣وما بعدها، مرجع سابق .

(٢) ينظر: فن الإتيكيت شرين المصري ص١١ مرجع سابق .

(٣) ففي إيطاليا في سبتمبر عام ١٩٩٦م: تم الإعلان عن تشكيل أول نقابة رسمية دولية لتبادل الزوجات ، وصل عدد المسجلين فيها إلى عشرين ألفا ، وقد سجلت الأبحاث وجود أكثر من عشرين نادياً لتبادل الأزواج في كاليفورنيا الأمريكية، وسجل وجود أكثر من ثمانية آلاف حالة لتبادل الأزواج في حي من أحياء شيكاغو، وفي المملكة المتحدة وجد ١٢٠ نادي عام ٢٠٠٣.، وحوالي نصف مليون من الأزواج الإيطاليين يتبادلون الزَّوجات من خلال النوادي الجنسية أو خارجها، أي ما يقدر بربع الأزواج الإيطاليين وفق ما نشرته صحيفة independentالبريطانية عام٢٠٠٨، https://www.hellooha.com/articles/٣٧٦-.

ثانياً: الذوق في التعامل مع المشاعر والأحاسيس:

في ظل حب المادة وتقديسها والحرص على إشباع الشهوات وإطلاق العنان لها، فمن الطبيعي أن تختفي المشاعر والأحاسيس وتُهمل وسط هذا الركام الهائل من الماديات والشهوات، فلا يحسب لها كثير حساب في ميزان الذوق، حيث أصبحت الأمور توزن وتقاس بقدر ما تقدم من لذة ونفع، وبقدر ما تشبع من رغبات ويتضح هذا من خلال ما يلي:

١. إهمال مشاعر الأبوة والأمومة، فأين الذوق في احترام مشاعر الأبوة أو الأمومة عندما تقتضي القوانين والقواعد الغربية بأن لا يتمكن الأبوان من ممارسة دورهما كمربين أو مؤدبين، إذ من حق الولد أن يقاضي أباه لمجرد ضربه أو تعنيفه، ومن حق الولد أو الفتاة هجر الأسرة والبيت عند بلوغ سن معينة والعيش مع صديقة أو صديق، بل إن الاعتداء على مشاعر الأبوة والأمومة يتجسد في أسوأ صوره عندما يشعر الأبوان في الكِبَر أن دورهما في الحياة قد انتهى، ولابد من العيش بمعزل عن الأبناء إما في دار للمسنين أو في منزل مستقل على أحسن الأحوال، حيث يعانيان مرارة الوحدة وكبر السن وضعف البدن والحرمان من العطف والحنو في وقت هما أشد ما يكونان إليه، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

٢. الاعتداء على مشاعر الزوجية: وأين الذوق في احترام مشاعر الزوجية عندما تصادق الزوجة رجلاً غريبا وتغدو وتروح معه أمام ناظري زوجها، أو عندما تجعل نفسها نداً له وحرة في كل تصرفاتها، وأين الذوق في مراعاة مشاعر الزوج لزوجته عندما يهجرها لغيرها بعدما يشبع رغبته منها، أو عندما يعتدي عليها ضرباً وتجريحا.

٣. تحطيم نفسية الأطفال وتضييع مشاعرهم: وأي ذوق في احترام مشاعر الطفولة عندما يخرج الطفل للحياة فيجد نفسه بلا أب معرورف، وربما مجهول الوالدين،

أو عندما يجد والديه صديقين وليسا زوجين، فلا يشعر الإنسان إلا بنفسه أو نداء شهوته، فقد طغت على نفسه ماديات الحياة وتقديس الشهوات والرغبات والانشغال بإشباعها، فقد يتألم إنسان لمرض كلبه أو قطه الأليف، ولا يتألم لجوع جار أو مرضه، أو فقر فقير أو ألم مريض أو مصاب، وقد يحزن لضياع صفقة تجارية ولا يحزن لفراق قريب أوصديق .

هذا بالإضافة إلى أن المشاعر والأحاسيس صارت نوعاً من الضعف، وهي على حد تعبيرهم تعرقل الإنسان في طريق الوصول إلى غايته وتحقيق أهدافه المادية.

التعقيب والمقارنة: مما سبق يتضح أن:

١. الذوق الإسلامي في نظرته للغرائز والمشاعر الإنسانية و تعامله معها ارتكز على القيم المستمدة من وحي الله تعالى، ومن ثَمَّ جاءت تلك النظرة متوازنة ومعتدلة حيث وازنت بين جوانب النفس الإنسانية ومتطلباتها.

أما الذوق الغربي فقد قامت نظرته على أسس مادية غاياتها اشباع الجانب المادي وتغليبه لتحقيق اللذة والسعادة، ومِنْ ثَمَّ جاءت النظرة غير متوازنة حيث غلَّبت جانب على آخر.

٢. من الذوق الإسلامي في تعامله مع الغرائز والشهوات الإنسانية أنه لم يحجر عليها أو يكبتها وفي نفس الوقت لم يطلق لها العنان، وإنما اعترف بوجودها وقدرها وأعطاها مساحتها في الحياة الإنسانية، ووضع الآداب التي تضبط سلوكياتها وتهذبها، أما في الغرب فلم تتمكن قواعد الذوق ولا آدابه من الصمود أمام سيل الغرائز والشهوات الجارف، والتي تخطت حدود الذوق والأدب، بل طُوعت قواعده لخدمة تلك الغرائز وشهواتها.

٣. تعامل الإسلام بذوق عال مع المشاعر الإنسانية في كل حالات النفس البشرية، وراعى ما يعترى الإنسان من حالات وعواطف ومشاعر وأحاسيس حتى وقت الخطأ والخروج عن حد اللياقة، أما على الجانب الغربي فقد كان لتسلط المادة وسيطرتها على الحياة الإنسانية أثر بالغ على المشاعر والعواطف حيث ضعف الاهتمام بها، وصارت تعد عقبة في تحقيق الملذات.

وأخيراً: فإن الذوق الإسلامي ينفرد ويتميز بارتقائه بالطبيعة البشرية وما جبلت عليه من غرائز وشهوات وطبائع وميول ومشاعر، وقد جاءت كل قواعده وآدابه موافقة للفطرة الإنسانية ومهذبة للنفس البشرية، وذلك على خلاف الذوق الغربي (الإتيكيت) الذي لم يتمكن من تهذيب النفس البشرية ولا الارتقاء بها وإنما هي التي تدنت به إلى أدنى درجات الإنسانية.

المبحث الثالث

مساحة الذوق في العلاقات الإنسانية بين آداب الإسلام والإتيكيت

الإنسان كائن متفرد له جسد وروح، ظاهر وباطن، مخلوق لخالق معبود – سبحانه– ، يعيش في كون فسيح تربطه به وبما فيه وبمن فيه روابط وعلاقات، تعتريه كثير من الحالات، وتختلف به الأزمان والأماكن؛ لذا فالإنسان في حاجة إلى ما ينظم له سلوكياته في كل علاقاته بما ومن حوله، وفي كل مجالات وجوانب الحياة، وفيما يلي إطلالة على تلك المساحة التي يحتلها الذوق الإسلامي أو الغربي في حياة الإنسان وعلاقاته ومعاملاته من خلال آداب الإسلام أو قواعد الإتيكيت الغربي:

المطلب الأول: مساحة الذوق الإسلامي في العلاقات والمعاملات الإنسانية.

لقد تبين فيما سبق أن قواعد الذوق الإسلامي مستمدة من الوحي السماوي، الذي أنزله الله رب العالمين وخالقهم والأعلم بما فيه صلاح أمرهم، وقد جاءت تعاليمه شاملة لكل شؤون الخلق في حياتهم وآخرتهم، قال تعالى:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، وبما أن آداب الإسلام وذوقياته جزء من هذا الوحي فقد جاءت قواعد الذوق الإسلامي لتشمل سلوكيات الإنسان وعلاقاته في كل جوانب حياته ومجالاتها، بدية من علاقة الإنسان مع ربه سبحانه وحتى علاقاته ما الجمادات في الكون من حوله، ولتعم كل حالاته وأوطانه وأزمانه، وفيما يلي نماذج من الآداب والذوقيات تدلل على ذلك وتوضحه:

(١) سورة النحل آية: ٨٩.

أولاً: الذوق الإسلامي في علاقة الإنسان بربه وبرسوله ﷺ[١]:

علاقة الإنسان بالله تعالى من الدوائر التي تأخذ حيزاً كبيراً ومهماً في حياة الإنسان؛ لذا فقد شرَّع الله للإنسان من قواعد الأدب ما يلتزم بها معه – سبحانه – ومع رسوله ﷺ، وتلك منتهى الرحمة الربانية، ولا يعرف قدر الله وقدر رسوله إلا الله، فهو وحده الأعلم بما يليق مع جلاله سبحانه.

وباب الذوق والأدب مع الله أوسع من أن تحويه صحائف الكتب والمجلدات، إنه طريق طويل من الجد والاجتهاد والجهاد للنفس لمحاولة إرضائه سبحانه وتعالى، ويلخص الإمام – ابن القيم رحمه الله – قاعدة الذوق العامة والأدب مع الله بقوله: الأدب مع الله:"صِيَانَةُ مُعَامَلَتِهِ أَنْ يَشُوبَهَا بِنَقِيصَةٍ، وصِيَانَةُ قَلْبِهِ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى غَيْرِهِ، وصِيَانَةُ إِرَادَتِهِ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِمَا يَمْقُتُكَ عَلَيْهِ"[٢]، وقال في الأدب مع رسوله ﷺ: " كَمَالُ التَّسْلِيمِ لَهُ، وَالِانْقِيَادُ لِأَمْرِهِ. وَتَلَقِّي خَبَرِهِ بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ، أَنْ لَا يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِأَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ، وَلَا إِذَنٍ وَلَا تَصَرُّفٍ، وَهَذَا بَاقٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَمْ يُنْسَخْ. فَالتَّقَدُّمُ بَيْنَ يَدَيْ سُنَّتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، كَالتَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي حَيَاتِهِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا عِنْدَ ذِي عَقْلٍ سَلِيمٍ، وَمِنَ الْأَدَبِ مَعَهُ: أَنْ لَا تُرْفَعَ الْأَصْوَاتُ فَوْقَ صَوْتِهِ. فَإِنَّهُ سَبَبٌ لِحُبُوطِ الْأَعْمَالِ فَمَا الظَّنُّ بِرَفْعِ الْآرَاءِ، وَنَتَائِجِ الْأَفْكَارِ عَلَى سُنَّتِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ، وأَنْ لَا يَجْعَلَ دُعَاءَهُ كَدُعَاءِ غَيْرِهِ. [٣].

وقد فصَّل الإمام ابن القيم – رحمه الله – القول في باب الأدب مع الله تعالى ومع رسوله ﷺ بما يغني عن الإعادة هنا [٤].

---

(١) سأكتفي في هذه النقطة بإشارة موجزة لأنها ليست عمدة في موضوع البحث، وقد أفاض فيها العلماء حديثا.

(٢) مدارج السالكين، ٣٥٦/٢، مرجع سابق.

(٣) مدارج السالكين ، ٣٦٦/٢ ، ٣٦٧بتصرف مرجع سابق.

(٤) السابق ، ٣٥٨/٢وما بعدها، ص٣٦٦ وما بعدها .

ثانياً: الذوق في علاقة الإنسان بنفسه (آداب شخصية):

ثم تأتي الدائرة الثانية في حياة الإنسان وهي علاقته بنفسه، وتلك أهم الدوائر بعد علاقته بالله، ويترتب عليها الكثير في علاقاته بالآخرين بل إن علاقة الإنسان بنفسه عامل أساس في علاقاته بمن حوله، من هنا فقد جاءت آداب الإسلام وقواعد الذوق لتشمل الإنسانَ كياناً متكاملاً روحاً وجسداً، ظاهراً وباطناً، على مستوى المظهر الخارجي، والسلوك الداخلي أو الشخصي.

فمن الآداب التي اهتمت بالمظهر الخارجي للمسلم، إحسان الهيئة، والملبس، وطيب الريح، وجمال الصورة، للرجل والمرأة [١]، ففي حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: (فَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ وَرِحَالَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّش)[٢]، كما حث على تهذيب الشعر، وتقليم الأظافر، بل اهتم الإسلام بأسنان الإنسان ورائحة فمه فسن أدب السواك لما فيه من مظهر جمالي وصحي وغير ذلك من الآداب الشخصية الخارجية.

ولم تقف آداب الإسلام عند حدود الاهتمام بالمظهر الخارجي للإنسان فقط، وإنما أولت الآداب النظافة الداخلية اهتماماً لم يسبقه إليه ذوق ولا أدب على مر التاريخ البشري، فحث الإسلام على جملة من الآداب المتعلقة بجسد الإنسان، مثل الغُسْل والاستنجاء والوضوء، وكما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (من الفطرة حلق العانة وتقليم الأظفار وقص الشارب)[٣]،

---

(١) مع الاختلاف بين الرجل والمرأة في أمر اللباس والتطيب خارج المنزل وبعض الأمور التي تختلف فيها المرأة عن الرجل، وسيأتي تفصيل هذا في المبحث الرابع.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه الذهبي، المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١ –١٩٩٠، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ج٤ص٢٠٣حديث رقم٧٣٧١.

(٣) صحيح البخاري، ج ٥ص٢٢٠٩حديث رقم ٥٥٥١ .

وفي رواية (عَشْرٌ مِنَ الفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وإِعْفاءُ اللِّحْيةِ، والسِّواكُ، والِاسْتِنْشاقُ بِالمَاءِ، وَقَصُّ الأَظْفار، وغَسْلُ البَراجِم، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وحَلْقُ العَانَةِ، وَانْتقاصُ الماء –يَعني الاسْتِنْجاءَ بالماء– قال مُصْعَبٌ، وهو ابنُ شَيْبَةَ: ونسيتُ العاشِرَة، إِلَّا أَنْ تكونَ المَضْمَضَة) [(١)].

فأين – إلا في الإسلام – تجد دينا أو حضارة – مهما بلغت من الرقي – تهتم بالنظافة الشخصية لأتباعه إلى هذا المستوى، ويجعلها دينا يتقرب به العبد إلى ربه، وإهمالها مجافاة لسنة النبي ﷺ وحرمان من شرف الاقتداء به؟!

بل جاءت آداب الإسلام وذوقياته لتنظم للمسلم حركاته وسكناته وتصرفاته، وسلوكه في مشيته وأكله وشربه ونومه، حتى في نبرة صوته ونظرة عينه، قال تعالى ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِك ﴾[(٢)]، وقال سبحانه في حق النساء : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾[(٣)]، وعَنْ حَمْزَةَ بْنِ عُبَيْدٍ وَبَكْرٍ الثَّقَفِيُّ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :(لَا يَصْلُحُ بِالْمُسْلِمِ أَنْ يَسِيرَ إِلَى أَخِيهِ بِبَصَرِهِ يُؤْذِيهِ أَوْ بِنَظْرَةٍ تُؤْذِيهِ)[(٤)].

فليس الذوق في الإسلام صوراً مظهرية يلتزم بها الفرد أمام الناس أو حال وجوده في مناسبات وحالات معينة، ثم يهملها بعد ذلك، ولكن ثمَّ آداب وسنن يلتزم بها الإنسان أمام الناس في مظهره وسلوكه، وأخرى يلتزم بها في نفسه على مستوى جسده من نظافة شخصية وتجمل، مما لا يطلع عليه غيره، وفي تحري المسلم لهذا النوع زيادة في الربانية، وتربية على مراقبة الله وحده.

---

(١) أخرجه أبو داوود في سننه وحسنه الألباني، مختصر سنن أبي داود بتخريج الألباني، ٤٩/٣٥/١.

(٢) سورة لقمان آية: ١٩.

(٣) سورة النور آية: ٣١.

(٤) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، نور الدين الهيثمي، ت: د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط/١ ، ١٤١٣ – ١٩٩٢، ج٢ص٧٧٤ حديث رقم٧٧٥.

ثالثاً: الذوق في علاقات الإنسان بأفراد أسرته[١] والدوائر المجتمعية من حوله: لقد جاءت آداب الإسلام وذوقياته لتشمل كل علاقات الإنسان ومعاملاته وارتباطاته بكل من حوله من أفراد المجتمع على اختلاف الدوائر ودرجات الصلة، واختلاف الفئات والحالات بداية من الوالدين، وهما أقرب الدوائر المحيطة بالإنسان، وأول من يرتبط بهم، ثم الزوجة والأبناء وحتى عوام الناس، وفيما يلي نماذج من تلك الآداب والذوقيات والاستدلال عليها:

١. الذوق في التعامل مع الوالدين: لقد بلغ مستوى الذوق الإسلامي مع الوالدين مبلغا لا ينازعهما فيه غيرُهما، حال حياتهما وبعد موتهما، فمن الذوق في التعامل مع الوالدين، خفض الجناح، والوقار والتعظيم، ولين القول، وطيب الكلام، واحترام المشاعر والأحاسيس، وتَقَبُّل ما يُرى منهما مما يتأذى منه الناس كما كانا يتقبلان ذلك منه صغيراً، قال تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا *وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [٢]، قال الإمام مجاهد: " فلا تقُل لهما أف حين ترى الأذى، وتميط عنهما الخلاء والبول، كما كانا يميطانه عنك صغيرا، ولا تؤذهما "[٣] ، فأي ذوق بشري وصل إلى مثل تلك الدرجة التي ارتقى إلي الذوق الإسلامي في التعامل مع الوالدين.

---

(١) ستناول الباحث هذا الجانب بشيء من التفصيل في النماذج أكثر من غيره من الجوانب، لتميز الإسلام به وإهماله من قبل أتباعه .

(٢) سورة الإسراء الآيات: ٢٣ . ٢٤.

(٣)جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م،ج١٧ ص٤١٥.

بل إن من الأدب الحرص على إدخال السرور على الوالدين، وقد قدمه الرسول ﷺ على الجهاد في سبيل الله أو الهجرة، ففي حديث الشاب الذي جاء للرسول ﷺ مبايعاً على الهجرة أو الجهاد، وقد ترك أبويه يبكيان قال له ﷺ : (فَارْجِعْ إِلَيْهِمَا، فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا) (١).

إن هذا نوع من الأدب والذوق لم ترتق إليه الإنسانية في عصورنا الحديثة بقوانينها ودساتيرها التي ترعى حقوق الإنسان، وتعمل على نشر ثقافة الإتيكيت.

هذا ولم يقتصر الذوق الإسلامي في التعامل مع الوالدين على فترة عمرية معينة أو في حياتهما، أو حال الاحتياج لهما فقط، ولكن آداب التعامل مع الوالدين من قِبَل الأبناء تمتد معهما في كل فترات حياتهما ومراحلها في الصغر والكبر، والقوة والضعف، وحال العطاء والإنفاق أو العجز والحاجة إلى النفقة، بل إن هناك آداباً في التعامل معهما بعد الموت، بالدعاء لهما، والإحسان إلى أهل ودهما وأقاربهما، وغير ذلك مما لا يتناسب مع مقام البحث.

٢. الذوق في التعامل مع الأبناء: فقد فاقت آداب الإسلام التصورات الإنسانية، وتخطت حدود الواجبات والحقوق، لتراعي مشاعر الأبناء ونفسياتهم وتهذيب سلوكياتهم في كل مراحل حياتهم، ويكفي في هذا الباب حديث سيدنا أَبي هُرَيْرَة ﷺ قال: قَبَّلَ رسولُ الله ﷺ الحَسَنَ بنَ علىّ، وَعِنْدَهُ الأَقرَعُ بْنُ حابِس التميميُّ جالِساً، فَقالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لي عَشَرَةً مِنَ الولَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَداً، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رسولُ اللهِ ﷺ : ثُمَّ قالَ:(مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرحمُ)(٢) .

ويجسد رسول الإنسانية ﷺ الذوق مع الأطفال في أسمى معانيه عندما يراعي حاجة الطفل إلى اللعب في أخص حالاته مع ربه سبحانه وهو ساجد، فعَنْ عَبْدِ

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٦ص٣٢٨حديث رقم٦٨٣٣، مرجع سابق.

(٢) صحيح البخاري، ج٤ص٦٤حديث رقم٢٣١٣.

اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ لِلصَّلَاةِ، فَخَرَجَ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَوَضَعَهُ إِلَى جَنْبِهِ، فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا، قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي مِنْ بَيْنِ النَّاسِ فَإِذَا الْغُلَامُ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَعَدْتُ رَأْسِي وَسَجْدَتِي، فَلَمَّا سَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ الْقَوْمُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ سَجَدْتَ فِي صَلَاتِكَ هَذِهِ سَجْدَةً مَا كُنْتَ تَسْجُدُهَا، أَوَ كَانَ يُوحَى إِلَيْكَ؟ قَالَ: (لَا، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي وَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ)[1]، إنها قمة الذوق والأدب الإسلامي الراقي في معاملة الأطفال بمراعاة مشاعرهم وحاجتهم للهو واللعب فلا يقطعهاﷺ حتى في العبادة!

٣. الذوق في معاملة الزوج لزوجته: شملت آداب الإسلام العلاقة بين الزوجين بكل جوانبها، وفي كل حالاتها حتى أخص الأمور بينهما، وقد جعل الإسلام القاعدة الأساسية والعامة التي ترتكز عليها آداب التعامل بين الزوجين المودة والرحمة، انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، وعن تلك القاعدة تتفرع قواعد وآداب الذوق الإسلامي بين الزوجين؛ لتجعل الحياة الأسرية واحة آمنة مطمئنة ينعم كل أفرادها بالسعادة والاستقرار، ومن نماذج تلك الآداب والتي يمكن تقسيمها إلى قسمين:

* إكرام الزوجة وإدخال السرور عليها: كان ذلك من ذوق النبي ﷺ في تعامله مع نسائه، ففي حديث عروة عن عائشة – رضي الله عنها– قالت: (رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا الذي

(١) مسند الإمام أحمد، ج٢٥ص٤١٩حديث رقم١٦٠٣٣، النسائي ج٢ص٢٢٩حديث رقم١١٤١، وصححه الشيخ الألباني، صحيح وضعيف سنن النسائي، ج٣ص٢٨٥.

(٢) سورة الروم آية: ٢١.

أسام، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو) [١]. فهذا نوع من التدليل والإكرام يقوم به رسول الله ﷺ لزوجه الصغيرة لإدخال السرور عليها مراعاة لصغر سنها.

وفي حديث الإمام البخاري عن زواج الرسول ﷺ من السيدة صفية –رضي الله عنها– في غزوة خيبر، قال أنس بن مالك ﷺ: (فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ) [٢]، وهذا أشبه ما يكون في عصرنا الحاضر بإعانة الزوجة على ركوب سيارة أو فتح باب السيارة لها، وهو مما يعتبره الغربيون نوعاً من الإتيكيت، وهو من هدي النبي ﷺ وأدبه.

*احترام الزوجة وعدم إهانتها أمام الناس: فإذا كان من الذوق والأدب الإسلامي إكرام الزوجة على مرأى من الناس فمن باب أولى عدم إهانتها وتجريحها أمامهم، ففي حديث حَكيمِ بنِ مُعاويَةَ القُشَيرِي (ولا تَهجُرَ إلَّا في البَيتِ) [٣]، فإذا كان الإسلام أباح للزوج هجر زوجته تأديباً إلا أن هذا الهجر ينبغي ألا يتخطى حدود البيت احتراما لها وإكراماً، وبعداً عن إهانتها وتجريحها، وذلك من أرقى ذوقيات التعامل مع الزوجة.

(١)صحيح البخاري، ج٥ ص٢٠٠٦حديث رقم ٤٩٣٨ .

(٢) صحيح البخاري، ج٢ص٧٧٨حديث رقم ٢١٢٠ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه برقم٢١٤٢، وأحمد في مسنده برقم٢٠٠٢٢، والنسائي في الكبرى برقم٩١٧١، ١١١٠٤، ١١٤٣١، وقال الألباني حسن صحيح، السنن الكبرى ، أبو بكر أحمد بن الحُسَين بن عليٍّ البيهقي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م، ج١٥ص١٥٠حديث رقم ١٤٨٩٦.

*عدم مباغتة الزوج لزوجته عند قدومه من سفر بعيد: فعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (إذا أطال أحدكم الغَيْبَةَ، فلا يَطْرُق أهله ليلًا) [١]، وهناك وجهان للحكمة من هذا الأدب كما ورد في روايات الحديث الشريف؛ الأول: إعطاء الفرصة للزوجة لتتزين لزوجها حتى لا تقع عينه على ما يكرهه فيها، كما وضحته رواية الإمام البخاري في الحديث عن جابر ﷺ قال: فلما قدمنا ذهبنا لندخل فقال ﷺ : (أمهلوا حتى تدخلوا ليلًا؛ أي: عِشَاءً؛ لكي تمتشط الشَّعِثَةُ، وتَسْتَحِدَّ المَغِيبَة) [٢]، وفيه أيضاً: أن من آداب الزوجة مع زوجها تزينها له عند عودته من سفر أو غيره.

الوجه الثاني: أن المباغتة المنهي عنها التي يُقصد من ورائها تصيد الأخطاء والعثرات والتخوين، وهذا ما بينته رواية الإمام مسلم عن جابر ﷺ قال: (نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلا يتخونهم أو يلتمس عثراتهم)، ومعنى" يتخونهم " يظن خيانتهم ويكشف أستارهم ويكشف هل خانوا أم لا [٣].

*عدم التأذي منها حال الحيض والتعبير عن حبه لها: وتلك من الآداب الإسلامية السامية في معاملة الزوجة ففي حديث السيدة عَائِشَةَ – رضي الله عنها – قَالَتْ:(كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ فَيَشْرَبُ وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِي) [٤]، فمع ما يتضح في الحديث النبوي الشريف من معاني الحب الراقي بين الزوجين رسول الله ﷺ وأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، إلا أن هناك ملمحاً ذوقياً آخر في إشارة أمنا السيدة عائشة – رضي الله عنها

(١) صحيح البخاري، ج٥ ص ٢٠٠٨حديث رقم ٤٩٤٦.

(٢) صحيح البخاري، ج ٥ص١٩٥٤حديث رقم٤٧٩١.

(٣) صحيح مسلم، ج٣ص ١٥٢٧حديث رقم٧١٥.

(٤) صحيح مسلم، ج١ص٢٤٥حديث رقم ٣٠٠.

– إلى حدوث ذلك في وقت حيضها، وهو أن النبي ﷺ لم يكن يتأذى من زوجته أو ينفر منها في فترة حيضها أو يحرجها، بل كان يحترم مشاعرها ويكرمها، فهل هناك مثل تلك الذوقيات في الإتيكيت الغربي وما على شاكلته من قوانين وآداب اجتماعية؟.

٤. من آداب الذوق في معاملة الزوجة لزوجها: وفي المقابل فإن الإسلام وجه الزوجة إلى تزيين معاملاتها لزوجها بالذوق الراقي والأدب مع زوجها، بل تكون أشد أدباً وذوقاً؛ لما له عليها من حقوق شدد عليها الإسلام، ومن تلك الآداب:

* الحرص على إدخال السرور على الزوج وإسعاده ؛ ويكفي في هذا السياق حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :(خَيْرُ النِّسَاءِ الَّتِي إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا سَرَّتْكَ... الحديث) [(١)]، وإدخال السرور على الزوج يكون بالتزين والتجمل له، وبشاشة الوجه، ونظافة الملبس، وطيب الرائحة، وليس من الضروري أن تكون على قدر عال من جمال الصورة والخلقة، ولكن يكفيها الاهتمام بنفسها، وإظهار حسنها، وتحسين هيئتها لزوجها، فذلك مما يدخل عليه السرور.

* العمل على تخفيف الهموم والأحزان؛ إن من الذوق والأدب أن تعمل الزوجة على التسرية عن زوجها وقت حزنه وهمه فهي سكنه، والزوج خاصة كثيرا ما تعتريه الهموم والأحزان لكثرة أعبائه وأعماله، ومن أرقى النماذج في هذا موقف أمنا السيدة خديجة – رضي الله عنها– مع زوجها المصطفى ﷺ عندما نزل عليه جبريل عليه السلام بالوحي في حديث السيدة عائشة – رضي الله عنها –: (فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ (فُؤَادُهُ) حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ: زَمِّلُونِي

(١)مسند أبي داود، أبو داود سليمان بن داود الطيالسي، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م، ج٤ ص٨٧حديث رقم ٢٤٤٤، مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المعروف بالبزار، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله وآخران، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى ٢٠٠٩م، ج١٥ص١٧٥حديث رقم ٨٥٣٧.

زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ، حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ قَالَ لِخَدِيجَةَ: أَيْ خَدِيجَةُ مَا لِي لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ ، قَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، أَبْشِرْ فَوَ اللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، فَوَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ)[1]. وتروي كتب السيرة هيئة النبي ﷺ وزوجه خديجة عندما كان يحدثها في هذا الموقف فيتضح منها كل حُنُو ومودة وسكن، و سمو ذوق، فقد أورد ابن هشام وغيره قول الرسول ﷺ (وَانْصَرَفْتُ رَاجِعًا إِلَى أَهْلِي حَتَّى أَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَجَلَسْتُ إِلَى فَخِذِهَا مُضِيفًا إِلَيْهَا) [2]، أي ملتصقاً بها مائلاً عليها وهو يحدثها وتحدثه لتخفف وتسري عنه ما بدا عليه من علامات الخوف والهلع.

ومن النماذج أيضا موقف السيدة أم سليم زوج أبي طلحة – رضي الله عنهما – في إخبار زوجها بوفاة ولده[3]، تلك نماذج من الآداب والذوقيات المتعلقة بالعلاقة بين الزوجين ومن قبلهما الأبناء والأبوين، وهناك الكثير والكثير مما يحتاج إلى إفراد بحث .

٥. من آداب الذوق في التعامل مع الأقارب والعامة: ثم تأتي الدوائر الاجتماعية الأخرى المحيطة بالإنسان؛ بداية من الأقارب وذوي الأرحام ثم الجيران وحتى عوام الناس، فلقد عمت قواعد الذوق الإسلامي وآدابه سلوكيات الإنسان وتعاملاته في علاقته بكل من حوله من الناس، وجاءت قاعدة الذوق العامة في التعامل مع كل الفئات بالإحسان إليهم جميعاً مقروناً بالأمر بعبادته وحده لا

(١) صحيح البخاري، ج٤ص١٨٩٤حديث رقم ٤٦٧٠.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: مصطفى السقا وآخران، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م، ج١ص ٢٣٧.

(٣) صحيح مسلم ،ج٣ص١٦٨٩، حديث رقم ٢١٤٤.

شريك له، قال تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾[١]، وتظل قواعد الذوق تتدرج مع الإنسان في علاقاته بالأخرين وتعاملاته معهم لتصل إلى عوام الناس في المجتمع، وذلك بإحسان الكلام، وإفشاء السلام، وبشاشة الوجه، قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[٢]، ومنها قوله ﷺ: (أَفشُوا السَّلَامَ بَينكم)[٣]، (لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْق)[٤]، وتلك أبسط آداب الإسلام في التعامل مع الناس وأسماها في نفس الوقت.

رابعاً: الذوق الإسلامي في التعامل مع كل فئات المجتمع: لقد شملت آداب الإسلام وذوقياته كل فئات المجتمع؛ الوجهاء منهم والضعفاء، العامة والخاصة، الكبار والصغار والنساء، بل والمخالفين، فلكل من الآداب ما يتناسب معه، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

١. الذوق في التعامل مع أهل الفضل والعلم: إن من الذوق الإسلامي تقدير الناس وإنزالهم منازلهم، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ، فَأَكْرِمُوهُ) [٥]، وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :(إن من إجلالِ الله إكرامَ ذي الشيبَةِ المسلمِ، وحاملِ القُرآنِ غيرِ

(١) سورة النساء: ٣٦.

(٢) سورة البقرة: ٨٣ .

(٣) صحيح مسلم، ج ٣ص٧٤حديث رقم٥٤.

(٤) صحيح مسلم،ج٤ص٢٠٢٦حديث رقم ٢٦٢٦ .

(٥) أخرجه ابن ماجة في سننه وحسنه الألباني، سنن ابن ماجة، ج ٤ص٦٦٠حديث رقم٣٧١٢، صحيح ابن ماجة، ج٢ص٣٠٣حديث رقم٢٩٩١.

الغالي فيه والجافي عنه، وإكرَامَ ذي السُّلطَانِ المُقْسِطِ)[١]، وقمة الأدب والذوق في هذا الباب ما رواه الْأَصْمَعِيّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: " أَقْبَلَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ يَوْمًا عَلَى بَغْلَةٍ فَقَامَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَخَذَ بِرِكَابِهِ حَتَّى نَزَلَ، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: أَتَفْعَلُ هَذَا وَأَنْتَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِعُلَمَائِنَا، قَالَ لَهُ: أَدْنِ يَدَكَ مِنِّي، فَأَدْنَاهَا فَقَبَّلَهَا زَيْدٌ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِمَ فَعَلْتَ؟ فَقَالَ: هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا ﷺ"[٢]، فالإسلام لا ينسى لأهل الفضل فضلهم، ولا ينزل الناس عن درجاتهم ومكانتهم.

٢. الذوق في التعامل مع الفئات الضعيفة في المجتمع:

إن قمة الذوق الإسلامي تظهر في معاملة الفئات الضعيفة في المجتمع من كبار السن والصغار، والنساء والخدم والمرضى والمصابين وذوي الإعاقات وغيرهم احتراما لمشاعرهم وتقديرهم، وتتمثل قمة الذوق الإنساني في نظرة الإسلام لتلك الفئات الضعيفة، فعن مصعب بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم)[٣]، فلم ينظر الإسلام للضعفاء على أنهم عالة على المجتمع، أو فئات مستهلكة لا منتجة، ولكنهم سبب للرزق والنصر، وفي تلك النظرة من الذوق وجبر الخاطر ما فيها، ومن تلك الفئات الضعيفة:

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه وحسنه الألباني، ابو داود/٧/٢١٢/٤٨٤٣، صحيح الجامع الصغير وزياداته ج١ص٤٣٨حديث رقم ٢١٩٦.

(٢)جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ت: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م،ج١ص٥٠٤حديث رقم٨٣٢.

(٣) صحيح البخاري، ج٣ص١٠٦١ حديث رقم ٢٧٣٩.

*كبار السن والصغار والمصابين وذوي الإعاقة[١]؛ ورأس الأدب معهم الرحمة والتوقير، فعن ابنُ السَّرح –يعني أحمد بن عمرو– عن النبي ﷺ قال: (مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرنَا فَلَيْسَ مِنَّا"، وفي رواية " ويوقر كبيرنا)[٢]، ومن الأدب مع المرضى والمصابين عدم إشعار المصاب وأهل البلاء ببلائهم، قال الإمام النووي تعقيباً على ذكر الدعاء عند رؤية أهل البلاء[٣]: "ينبغي أن يقول هذا الذكر بحيث يسمع نفسه ولا يسمع المبتلى لئلا يتألم قلبه بذلك، إلا أن تكون بليته معصية فلا بأس أن يسمعه ذلك إن لم يخف من ذلك مفسدة والله أعلم"[٤]، ذلك هو "الذوق" الإسلامي في التعامل مع أصحاب البلاء، حساسية وإيجابية، ومودة ومعونة، وشكر لنعمة الله بالعافية.

* النساء: من الفئات التي خلقها الله بطبيعة معينة النساء، حيث الضعف في غالب الأحوال، وقوة العاطفة؛ ولذا فمن الذوق الإسلامي التعامل معهن بلطف ولين، وتقديمهن على الرجال عند التزاحم كي لا يُؤذين، وإعانتهن وقضاء حوائجهن، وذلك مما علمنا إياه الإسلام، فعن أنس بن مالك ﷺ قال : أتى النبي ﷺ على بعض نسائه ومعهن أم سليم فقال (وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ) [٥] ، ونتعلم الذوق والأدب في هذا الميدان من نبي الله موسى عليه السلام مع امرأتي مدين، ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ

(١) ينظر للباحث : ذوو الاحتياجات الخاصة وموقف الإسلام منهم، رسالة دكتوراه بقسم الثقافة الإسلامية بكلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر٢٠٠٧م.

(٢)الأدب المفرد بالتعليقات، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، حققه سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م،١/١٨٦ .

(٣) الدعاء هو: (الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلاً).

(٤) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار – الإمام محيى الدين أبى بكر زكريا يحيى بن شرف النووى صـ٢٦٩ التراث الإسلامي بدون تاريخ طبع .

(٥) صحيح البخاري، ج ٥ص٢٢٧٨حديث رقم٥٧٩٧.

مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِير ﴾ (١).

ولئن كان الشباب يبحثون عن مثال راق للمروءة والفروسية والرجولة في أسمى وأنقى وأعلى درجاتها، وعن الذوق في معاملة النساء فليدرسوا قصة موسى عليه السلام مع هاتين البنتين.

* الخدم: ومن آداب التعامل مع الخدم ما رواه أبو ذر ﷺ أن النبي ﷺ قال:(إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم) (٢)، وقد جاء رجلٌ إلى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي خادماً يسيء ويظلم، أفأضربه؟ فقال ﷺ: (تعفو عنه كل يوم سبعين مرة)(٣)، والمراد من السبعين الكثرة لا التحديد، فإن "العفو مندوب إليه مطلقاً دائماً لا حاجة فيه إلى تعيين عدد مخصوص.." (٤).

٣. الذوق في التعامل مع الأموات: إن حدود الذوق الإسلامي لم تنته عند الأحياء بل تخطتهم إلى الأموات، فمن الأدب عدم الحديث عنهم بما يكرهون، والاقتصار على ذكر محاسنهم، عن عائشة –رضي الله عنها–، قالت: قال رسول الله ﷺ :(إِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ، لَا تَقَعُوا فيهِ)(٥)، وفي هذا الأدب ردُّ الأمر لله تعالى،

---

(١) سورة القصص آية: ٢٣ ، ٢٤.

(٢) صحيح البخاري، ج١ص٢٠حديث رقم٣٠.

(٣) أخرجه الإمام أحمد حديث رقم (٥٦٠٣)، والترمذي حديث رقم (١٩٤٩)، وأبو داود حديث رقم (٥١٦٤).

(٤) تحفة الأحوذي (٥/ ١٨٠).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه وصححه الألباني،٣/٣٣٩/٤٨٩٩.

وقطع لرذيلة التشفي، ومروءة في التعامل مع من لا يملك دفاعا عن نفسه، كما فيه مراعاة لشعور أهله، ووفاءٌ للميت.

٤ . الذوق في التعامل مع غير المسلمين: لم تقتصر قواعد الذوق والأدب على التعامل مع المسلمين، ولكن تعدتهم لتشمل غير المسلمين، ومن ذلك من حسن الخطاب والتزام الحسنى في الحوار فالله – عز وجل – في مخاطبته للمخالفين من أهل الكتاب رغم شركهم به وتحريفهم لكلامه إلا أنه سبحانه يناديهم بـ " يَا أَهْلَ الْكِتَابِ"(١)، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٢)، بل شمل الذوق الإسلامي المخالفين حتى بعد موتهم، ففي حديث سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَقَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ – رضي الله عنهما – (إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ " فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: " أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟)(٣)، إن احترام نفس المخالف حتى بعد الموت من أسمى آيات الذوق التي لم ترتق إليها أي حضارة بشرية.

خامساً: الذوق في العلاقات والمراسم الدولية: جاءت قواعد الذوق في الإسلام لتشمل التعامل على مستوى الدول، وهي ما تعرف في عصرنا الحاضر بـ (البروتوكولات)، تلك البروتوكولات طبقها رسول الله ﷺ منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، حيث أرسل الرسل (السفراء) وأرسل معهم رسائل أو بطاقات الدعوة إلى الإسلام، وكذلك إرسال كل رسول بلغة المرسل إليهم، واتخاذ خاتم

(١) ورد الخطاب بتلك الصيغة اثنتي عشرة مرة، في القرآن الكريم .

(٢) سورة العنكبوت آية:٤٦ .

(٣) صحيح مسلم، ج ٢ص٦٦١حديث رقم ٩٦١ .

لختم الرسائل[١]، كتابة اسم الملك بما يحب[٢]، كما كان هناك بروتوكول لاستقبال الوفود، وكان من أدبه ﷺ في ذلك؛ "حسن استقبالهم وتعيين من يقوم بمراسم استقبالهم ويشرف على ضيافتهم، تهيئة مكان مناسب لإقامتهم[٣]، إكرام وفادتهم وحسن ضيافتهم، التجمل وحسن المظهر لمقابلتهم، الاستماع لهم أولاً، الإهداء لهم، حسن توديعهم"[٤].

وفي حال الحرب تتسامى آداب الإسلام لتشمل المخالفين في ساحة القتال، حيث احترام جثث القتلى وعدم المثلة بها، وعدم قتل من لم يقاتل من الصبيان والنساء وكبار السن، وعدم قطع الشجر أو إحراقه أو قتل البهيمة إلا لنفع، فمن وصية خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ﷺ لقائد جيشه في بلاد الشام "وَلاَ تَقْتُلُوا كَبِيرًا هَرِمًا وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ وَلِيدًا وَلاَ تُخَرِّبُوا عُمْرَانًا وَلاَ تَقَطَّعُوا شَجَرَةً إِلاَّ لِنَفْعٍ وَلاَ تَعْقِرَنَّ بَهِيمَةً إِلاَّ لِنَفْعٍ وَلاَ تُحْرِقَنَّ نَحْلاً وَلاَ تُغْرِقَنَّهَ وَلاَ تَغْدِرْ وَلاَ تُمَثِّلْ)[٥]، وتلك آداب لم ترتق إليها البشرية على مر التاريخ في غير الإسلام حتى في عصرنا المتحضر، برغم تزاحم الشعارات البراقة وكثرة المنظمات الموسومة بحقوق الإنسان.

---

(١) ينظر: رحمة للعالمين، محمد سليمان المنصورفوري، ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، الأولى، ج١ص١٤٢وما بعدها.

(٢) كمخاطبته ﷺ هرقل بقوله: "هرقل عظيم الروم". ومثل ذلك من راسلهم بالدعوة إلى الإسلام.

(٣) منها دار رملة بنت الحارث النجارية، وهي دار واسعة، وفيها نخيل وزروع، ودار المغيرة بن شعبة، ودار أبي أيوب الأنصاري، ودار يزيد بن أبي سفيان، ودار بلال وقد نزل بها ملك أيلة حين قدم مع أهل الشام واليمن.

(٤)السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، دكتور أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، ج ١ص٦٦٠ وما بعدها.

(٥)السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، ت/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م،ج٩ص١٥٣حديث رقم١٨١٥٠.

تلك جملة من الذوقيات والآداب أو ما يسمى بالبروتوكولات التي كان الدولة الإسلامية الأولى بالمدينة تلتزم بها تحت قيادة الرسول ﷺ.

سادساً: الذوق في علاقة الإنسان بالمخلوقات غير البشرية والتعامل معها: لقد اتسعت مساحة الذوق الإسلامي لتشمل وتعم غير البشر من المخلوقات الأخرى خاصة تلك التي نتعايش معها في الحياة، ومن نماذج ذلك:

١ . آداب التعامل مع الحيوان؛ من تلك الآداب الإحسان إلى البهائم ورحمتهم، عن سهل بن الحنْظَلِيَّة قال: "مَرَّ رسُول اللَّه ﷺ ببعير قد لَحِق ظهرُه ببطنه، قال: اتقوا اللَّه في هذه البهائم المعجَمة، فاركبوها صالحة، وكُلُوها صالحةً"(١)، وعَنْ كَبْشَةَ قَالَتْ : رَأَيْتُ أَبَا قَتَادَةَ أَصْغَى الإِنَاءَ لِلْهِرَّةِ فَشَرِبَتْ فَقَالَ : أَتَعْجَبِينَ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَنَا : أَنَّهَا لَيْسَتْ بِنَجَسٍ إِنَّهَا مِنَ الطَّوَّافِينَ عَلَيْكُمْ وَالطَّوَّافَاتِ)(٢)، وكذلك احترام مشاعر الحيوانات وعدم تعذيبهم معنوياً ومادياً، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: "كُنَّا مَعَ رَسولِ اللَّه ﷺ في سفَرٍ، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمَّرَةً(٣) معها فَرْخَانِ فأخذنَا فَرْخَيْها، فجاءت الحُمَّرة، فَجَعَلَتْ تُعَرِّشُ، فجاء النبي ﷺ ، فقال: مَنْ فَجَعَ هذِهِ بِوَلَدِها؟ رُدُّوا وَلَدَها إليها" (٤)، بل إن تلك الآداب تظهر حتى عند الذبح، فعن ابن عباس قال: مر رسول الله ﷺ على رجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهي تلحظ إليه ببصرها، فقال:(أفلا قبل هذا تريد

(١) أخرجه أبوداود في سننه وصححه الألباني، مختصر سنن أبي داود ،ج ٢ص١٦١حديث رقم٢٥٤٨ .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٣٧ص٣١٦حديث رقم٢٢٦٣٦، مرجع سابق.

(٣) الحُمّرة: طائر صغير كالعصفور، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ، ج١ ص٤٣٩.

(٤) أخرجه أبو داود وصححه الألباني، مختصر سنن أبي داود،ج٣ص٤٦٦حديث رقم٥٢٦٥.

أن تميتها موتتين)[١]، وتلك آداب فاقت كل التصورات والرؤى، إن الرسول ﷺ لا يريد أن يجمع على الحيوان أو الطير المذبوح ألمين ألم المشاعر والأحاسيس وألم الجسد.

٢ . من آداب التعامل مع الجمادات: الارتباط القلبي بالأماكن والحنين لها: إن الذوق الإسلامي اتسعت حدوده لتشمل الارتباط بالأماكن والتآلف معها، عن أبي حميد قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من غزوة تبوك حتى إذا أشرفنا على المدينة قال: (هَذِهِ طَابَةُ وَهَذَا أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ)[٢].

النظافة ورفع الأذى؛ ففي حديث بريدة ﷺ، قال: "سَمعتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يقول: (النُّخَاعَةُ فِي المَسْجِدِ تَدْفِنُهَا والشيءُ تُنَحِّيهِ عَنِ الطَّرِيق)[٣]، وعن عامر بن سعد، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: (طهروا أفنيتكم، فإن اليهود لا تطهر أفنيتها)[٤].

إحسان التعامل مع المسخرات في الكون من الجمادات: ويظهر هذا واضحاً جلياً فيما أنتجه المسلمون الأوائل من نتاج حضاري شهد له الأعداء قبل الأصدقاء برقي الذوق الجمالي، كما في المعمار الإسلامي وغيره، وسيتم تناول هذا في مبحث آخر.

٣. الذوق في التعامل مع بعض العوالم الغيبية مثل الملائكة والجن: بل إن الذوق الإسلامي تخطت حدوده إلى ما وراء المرئي والمحسوس وانتقلت من عالم

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط وصححه الألباني، المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، ت: طارق بن عوض الله بن محمد وآخر، دار الحرمين – القاهرة، ج٤ص٥٣حديث رقم٣٥٩٠،سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ج١ص٦٤حديث رقم٢٥.

(٢) صحيح البخاري، ج٤ص١٦١٠حديث رقم٤١٦٠.

(٣) أخرجه أبو داود وصححه الألباني، مختصر سنن أبي داود، ج٣ص٤٥٩حديث رقم٥٢٤٢.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط وحسنه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ج١ص٧٤٢حديث رقم٢٣٦.

الشهادة حيث إلى الغيبيات في علاقة الإنسان بالملائكة والجن، فينهى الرسول ﷺ عن إيذاء الملائكة فعَنْ جَابِرٍ قَالَ (مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةَ الثُّومَ فَلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ) [(١)]، كما يحث على احترام مشاعر الجن في طعامهم (لا تستنجوا بالروث، ولا بالعظام، فإنه زاد إخوانكم من الجن)[(٢)].

فأين إلا في الإسلام آداب للتعامل مع كل تلك العوالم والمخلوقات من إنس وجن وملائكة وجمادات، إنها مساحة من الذوق الإنساني شملتها آداب الإسلام لم تصل إليها أي آداب أو قوانين أو تصورات على مر التاريخ البشري.

المطلب الثاني: مساحة الذوق الإنساني في قواعد الإتيكيت:

لا يمكن إنكار ما وصل إليه الغرب من تقدم في مجال التنمية البشرية وفنون التعامل مع الآخرين، فقد عقدت المؤتمرات، وأُسست المبادئ، ووضعت القواعد والقوانين، وأُنشئت المعاهد، وألفت الكتب التي تهتم بتلك الفنون، هذا على المستوى النظري، وعلى المستوى العملي فالمجتمعات الغربية تتألق في مظهرها الحضاري، حيث الالتزام بقواعد الذوق والإتيكيت في الطرقات، والأماكن العامة، والمراسم والمقابلات الرسمية، والحفلات والولائم والمناسبات، والانضباط في المواعيد، واللياقة في المظهر الخارجي، وفي الحديث والحوار، وفنون الإدارة والقيادة... وغيرها من جوانب العلاقات العامة على مستوى الأفراد والجماعات، غير أن الدارس لتلك العلوم والفنون، والمتأمل في واقع المجتمعات الغربية يتضح له أن قواعد الإتيكيت والبروتوكول قد ركزت على جانب وأغفلت جوانب أخرى،

---

(١) صحيح مسلم، ج١ص٣٩٤حديث رقم٥٦٤.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى، ج ١ص٧٢، حديث رقم ١٨، تحقيق بشار معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م. وصححه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، حديث رقم ١٨.

كما اهتمت ببعض الفئات وأهملت الفئات الأخرى، حتى على مستوى التطبيق والالتزام، لم يكن الأمر عاماً في جميع الحالات والأحوال، وفيما يلي توضيح لذلك:

أولاً: الذوق في علاقة الإنسان بربه ودينه[١]: الإتيكيت هو فن التعامل مع الناس، وبالتالي فلا تشمل قواعده علاقة الإنسان بربه أو دينه، حيث اهتمت قواعد الإتيكيت الغربي بالجوانب المادية في حياة الإنسان دون النظر إلى الجوانب الروحية والتعبدية، وذلك تماشياً مع الفكر والثقافة الغربية، ويظهر هذا واضحا في موقف الإتيكيت الغربي من الغرائز والشهوات البشرية.

ثانياً: الذوق على المستوى الشخصي:

اتسمت قواعد الإتيكيت بالتركيز على المظهر الخارجي والشكلي للإنسان، في الشكل والملبس والهيئة، وزينة المرأة، والكلام والحركة والخطوات، وقواعد المشي بل وصعود الدرج ونزوله، وغيرها من القواعد التي تهتم بأدق التفاصيل للسلوكيات الشكلية و الصورة الخارجية للإنسان[٢]، الرجل والمرأة على حد سواء بل ركزت قواعد الإتيكيت على المظهر الخارجي للمرأة أكثر على اعتبار أن مظهرها الخارجي هو ما يراه الناس، والمرأة – على حد تعبيرهم – محط أنظار الكثيرين وإعجابهم، وهي عامل الإمتاع للآخرين، وبالتالي فالعيون دائماً تراقبها وتلاحقها وترصد تصرفاتها وحركاتها، فعلى قدر ما تكون لبقة ورقيقة تلقى استحسان المحيطين بها[٣].

---

(١) لن يقف الباحث طويلاً مع تلك النقطة لأن الإتيكيت وضع في أساسه لتنظيم العلاقة مع الناس وبعضهم.

(٢) ينظر: فنون الإتيكيت، د سناء محمد سليمان، ص ١٤٣، ٢٣٨، ٢٤٠–٢٤٢، فن الإتيكيت شرين المصري، ص١٥، ٣٣وما بعدها.

(٣) السابق ص٢٤.

في الوقت الذي أهملت فيه قواعد الإتيكيت ما يتعلق بالإنسان من الأمور الشخصية والنفسية في علاقته ببدنه ونفسه، فليست هناك آداب للنظافة الشخصية، أو الاهتمام بالبدن على المستوى الداخلي فهذه الأمور موكولة لطبيعة الأفراد، فالإتيكيت عندهم قواعد مظهرية تهتم بالجانب المرئي للناس، وتهمل باقي الجوانب.

تقول دكتورة ريمة الخاني:" الإتيكيت كمصطلح غربي ينحصر في السلوك الإنساني، والتصرُّف بحكمة في الحياة الاجتماعية؛ أي: فن التعامل مع الناس فقط"(١).

ثالثاً: الذوق في مجال العلاقات الاجتماعية: اهتم الإتيكيت الغربي بجانب العلاقات العامة للإنسان داخل المجتمع اهتماماً بالغاً، لدرجة أن قوانين الإتيكيت وذوقياته أسهبت في تنظيم تلك العلاقة، وذلك فيما يتعلق بقواعد التعارف، والزيارات، والمناسبات والمحافل أيما اهتمام، بصورة مبالغ فيها فوضعت أدق التفاصيل في تعامل الإنسان مع الآخرين ممن يلتقي بهم في العمل أو المناسبات، أو المحافل وغيرها حتى اهتمت بتعبيرات الوجه والمصافحة، وطريقة الجلوس، وطريقة تناول الطعام في الولائم وكيفية الإمساك بأدوات المائدة، وبأي صنف من الطعام يبدأ ومتى يبدأ ومتى ينتهي، ومراسم الاستقبال والانصراف والوداع وغيرها(٢)، ومع كل تلك التفصيلات وغيرها نجد العلاقة بين أركان الأسرة وأفرادها، أو العائلة الكبيرة وأواصرها، مهملة من قبل واضعي قواعد الإتيكيت، إذ إن الأساس الذي وضع فن الإتيكيت من أجله ليس هو بناء كيان الإنسان،

---

(١) فن الإتيكيت https://www.alukah.net/social/٠/١١٠٥٣٠/#ixzzohmJW٦rW H.

(٢) ينظر: فن الإتيكيت شرين المصري، ص٩٢وما بعدها.

أو الاهتمام بالكيان الأسري والعائلي بقدر ما هو موضوع لتنظيم علاقات الإنسان الخارجية في الدوائر المجتمعية المختلفة، " فكلمة إتيكيت تعني بالتفسير القاموسي: قواعد للعلاقات الرسمية أو التصرف أمام الناس، أو في طبقة اجتماعية أو مهنية"(١)، فلا يراعي الإتيكيت الأقرباء، ولا الجيران، أو حتى داخل الأسرة الصغيرة، كالوالدين أو الزوجة، فهذه الأمور تترك لطبيعة الشخص وميوله وثقافته، وهذا الأمر يلمسه بوضوح كل من يطالع قوانين الإتيكيت وفنونه، حيث يجد أن من كتب في هذا المجال يقتصر على بعض الآيات والأحاديث التي يستشهدون بها في هذا المجال، والبعض يغفل هذا الجانب نهائياً(٢)، حتى إن مَنْ كتبوا من العرب والمسلمين في فن الإتيكيت – حديثاً– عندما تعرضوا للإتيكيت الأسري أو العائلي أخذوا من آداب الإسلام ما تيسر، لعدم وجود بغيتهم في قواعد الإتيكيت الغربي، وكانت نتيجة ذلك تفكك الأسرة وضياع حقوق أفرادها، ناهيك عن احترام مشاعرهم وإنسانيتهم(٣).

كذلك فإن قواعد الإتيكيت الغربي لا تشمل كل البشر مخالفين وغير مخالفين كما هو الحال في الإسلام، فلا تزال العنصرية للون والدين واللغة حاضرة في

---

(١) فنون الإتيكيت د/سناء محمد سليمان ص٢٥.

(٢) ينظر: الإتيكيت العائلي، دكتور/ محمد حسن المرزوقي، http://Almovtrefpdf.blogspot.com، فنون الإتيكيت د/سناء محمد سليمان، فن التعامل مع الناس، ديل كارنيجي، مكتبة جزيرة الورد، ط١/ ٢٠١٠م، فن الإتيكيت شرين المصري.

(٣) في مقابلة مع دكتور محمد حمدي أبو عبده أستاذ الحديث بجامعة حائل، وقد عمل بالمراكز الإسلامية بدول أوروبا وأمريكا من عام ٢٠٠١م إلى عام ٢٠١٠م، قال: إن ذوقيات الغرب ذوقيات مظهرية لا تهتم بالكيان الداخلي للأسرة بقدر ما تهتم بالعلاقات الخارجية، فلم يوجد ترابط بين أفراد الأسرة الواحدة ولا علاقات تربطهم ببعضهم، بل الأسوأ من ذلك افتقار أفراد الأسرة – وبخاصة الوالدين عند الكبر – إلى أبسط حقوقهم الأدبية من احترام المشاعر والكرامة الإنسانية، ثم يقول: دخلت حديقة من الحدائق العامة في ميلانوا فوجدت رجلاً مسناً يبكي فقربت منه وسألته عن سبب بكائه، فعلمت أن ابنه طرده من المنزل ليعيش فيه مع صديقته!!.

تعاملاتهم وسلوكياتهم، والواقع المعاش خير شاهد، وكذلك الحال في قواعد التعامل مع الفئات الضعيفة مثل النساء، فقد استخدمت المرأة كأداة للمتعة، وقد وضعت قواعد الإتيكيت لتحقق ذلك كما سيتضح في حينه.

رابعاً: الذوق في مجال علاقة الإنسان بالكون وما حوله من مخلوقات:

إن أول ما يلفت الأنظار ويشد العقول في الحضارة الغربية الحديثة هو ذلك التقدم والرقي المادي في كثير من المجالات المتعلقة بما في الكون من مسخرات ومخلوقات، حيث الانتفاع والتسخير والإنتاج ومن ثمَّ الرقي المادي والتقدم العلمي، وقد تبع ذلك جملة من قواعد الذوق والأدب، كالإتقان والنظام، والالتزام بالمواعيد، والإبداع في العمل والأمانة، ثم النظافة في الطرقات والبيوت والمحال، وكذلك ما يسمى بالرفق بالحيوان، وغير ذلك من آداب، وهي في مجملها مبادئ وقواعد إسلامية أخذ بها الغربيون وسبقونا في هذا الميدان في الوقت الذي تخلي المسلمون فيه عن تلك المبادئ والقواعد نتيجة الفهم الخاطئ للإسلام وتعاليمه، ومع هذا فإن قواعد الذوق الغربي المتعلقة بالكون غير الإنسان منحصرة فيما يقدم النفع والمتعة للإنسان ليس إلا؛ ذلك لأن الحضارة الغربية قامت على أساس مادي لا إنساني، وعلى هذا الأساس كانت علاقة الإنسان بالكون الذي يعيش فيه تقوم على المنفعة والمادية دون التعايش والتأمل والاعتبار كما هو الحال في الإسلام؛ لذا لم نجد من قواعد الإتيكيت ما يتعامل مع باقي المخلوقات ويحترمها خارج هذا الإطار، فليست هناك قواعد للتعايش مع المسخرات والتأمل والنظر والاعتبار، وليست هناك قوانين لاحترام المخلوقات الغيبية من ملائكة وجن لأن حياتهم المادية جعلتهم لا يفكرون في مثل تلك المخلوقات إن كانوا يؤمنون بها أصلاً.

خامساً: المساحة الزمانية والمكانية للذوق في الإتيكيت الغربي:

إن قواعد الإتيكيت الغربي تنحصر مساحتها زماناً ومكاناً في دوائر ضيقة؛ وذلك لأمرين:

أولهما: تغير قواعد الإتيكيت من وقت لآخر ومن زمان لزمان، على الرغم من أن قواعد الإتيكيت والبروتوكول تم الاتفاق عليها دولياً في مؤتمر واتفاقيتي فيينا بعد تطور دام قروناً – كما سبقت الإشارة – إلا أن قواعد الإتيكيت تتغير من مكان لآخر ومن زمان إلى زمان " فقواعد الاتيكيت تتغير وفقاً للجغرافيا والتاريخ، أي أن المكان والزمان يفرضان شروطهما، فهي غير ثابتة، والقاعدة الثابتة في الإتيكيت هي (تصرف في روما كما يتصرف الرومان) فلكل مكان وزمان قواعده المحددة في البروتوكول التي يجب التعرف عليها واتباعها درءاً لأي حرج "[١].

بل إن قواعد الإتيكيت يتم تعديلها بالحذف أو الإضافة دورياً، في بريطانيا يتم عقد ثلاثة اجتماعات سنويا من أجل درس استفسارات الأفراد والمؤسسات والدول وإصدار توصيات مناسبة لأنماط السلوكيات التي من الواجب اتباعها داخل المجتمع[٢].

ثانيهما: انحصار قواعد الإتيكيت في فئات معينة في المجتمع: فالإتيكيت وُضع في الأساس لطبقة معينة من الناس، ولا يزال حتى يومنا هذا يُعرف بأنه فن الطبقات الراقية، ويظهر هذا واضحاً في أصل الكلمة والتعريف بالمصطلح،

---

(١) فنون الإتيكيت د. سناء محمد سليمان ص٣٠ ، ٣١.

(٢) إتيكيت موقع إلكتروني https://etiquettemagazine.blogspot.com/٢٠١٤/٠٣/blog-post.html.

فكلمة إتيكيت في أصلها الفرنسي تعني: " بطاقة الدخول إلى المجتمع الراقي" (١)

تقول د/ سناء سليمان:" فالإتيكيت هو عملية وضع قواعد السلوك الضروري عند المجتمعات المتحضرة، أو عند الطبقة الراقية في هذه المجتمعات، ثم تطور استخدام المصطلح ليشير إلى مجموعة القواعد التي تضبط سلوك مجموعات من العاملين الذين يكون للمجاملة والذوق المتبادل دور مهم في عملهم "(٢)، وقد كان في بدايته قاصر على طبقات الأمراء والنبلاء، ولا يطالب باقي أفراد المجتمع بتلك القواعد إلا في حال حضور حفل رسمي أو مناسبة عامة، بل إن المُنَظِّرين لهذا النوع من الفن أصبحوا يستخدمونه بشكل جزئي لرعاية الآداب في أوقات معينة وفي طبقات معينة، ولذلك ظهر ما يعرف بإتيكيت الإدارة، إتيكيت السياحة، إتيكيت الحفلات، وغيرها، هذا بالإضافة إلى عدم مناسبة كثير من قواعد الإتيكيت مع، معتقدات وعادات كثير من المجتمعات وأعرافها.

التعقيب والمقارنة: من خلال ما سبق وبالمقارنة بين مساحة الذوق الإنساني من خلال آداب الإسلام وقواعد الإتيكيت الغربي يتضح أن:

١. آداب الإسلام تسامت وارتقت لتنظم علاقة الإنسان بربه – سبحانه وتعالى – وبرسوله ﷺ، وتلك مساحة من الذوق لم ولن ترتق إليها إلا آداب الديانات السماوية الصحيحة التي نزلت من عند الله، ولا يعرف قدر الله إلا الله، أما قواعد الإتيكيت الغربي فإنها تكاد تنعدم من هذا المجال فلا توجد مساحة للذوق في علاقة الإنسان بربه.

---

(١) فن المعاملات أو الإتيكيت، د. ريمه الخاني، بحث إلكتروني منشور على شبكة الألوكة https://www.alukah.net/social/٠/١١٠٥٣٠/#ixzz٥hmKAAkfJ .

(٢) فنون الإتيكيت د/سناء محمد سليمان، ص٢٨، ٢٩.

٢. اتسعت مساحة الذوق الإنساني في الإسلام لتشمل كل الفئات التي يرتبط بها الإنسان ويتعامل معها؛ بدءاً من نفسه ثم أبويه وحتى أعدائه والمخالفين في كل الحالات والأعمار ولكل حسب درجة قربه ودرجته وحالته، أما الذوق الغربي فقد انحسرت مساحته في فئات قلية من المجتمع الإنساني، وفي حالات معينة.

٣. لقد طالت مساحة الذوق الإسلامي بآدابه كل المخلوقات بما فيها من طيور وحيوانات وكائنات وجمادات، بل تخطت مساحة الذوق الإسلامي حدود الحياة إلى الأموات، وعالم الشهادة إلى المخلوقات الغيبية من ملائكة وجن. أما الذوق الغربي فمساحة ذوقه تنحسر مع تلك المخلوقات في دائرة المنفعة واللذة وتدور معهما حيث دارتا.

٤. شملت مساحة الذوق الإسلامي الزمان والمكان، فآداب الإسلام صالحة منذ أن نزلت على رسولنا محمد ﷺ وترسم خطاه فيها صحابته، ويتربى عليها الأطفال قبل الكبار من المسلمين ولا يزالون يلتزمون بها حتى يوم الناس إلى أن تقوم الساعة، أما قواعد الإتيكيت فإنها تتغير وفق تغير العادات والثقافات، وقد تتوافق مع ثقافة ولا تتوافق مع أخرى.

وأخيراً فإن مساحة الذوق الإنساني في الإسلام لا حدود لها، ولا منتهى حيث يظل المسلم يترقى في درجات الذوق والكمال الإنساني حياته بأكملها.

المبحث الرابع

الذوق في استشعار الجمال والتعامل معه بين آداب الإسلام والإتيكيت.

الجمال قيمة من القيم التي شغلت فكر البشر منذ القدم، من حيث الوقوف على حقيقته، وتقديره، وتحديد معاييره، ووضع الآداب والقواعد التي تظهره وتحفظه، ولقد اختلف الناس قديماً وحديثاً في رؤيتهم لحقيقته وتحقيقه، واختلافهم هذا يرجع إلى اختلاف الأذواق ومرجعياتها، إذ إن الذوق الإنساني هو ميزان من موازين الجمال، وعامل من عوامله في ذات القوت، فإذا كان الذوق سليماً يرتكز على مرجعية صحيحة، جعل صاحبه يميز الجمال الحقيقي ويبصره، ويطبق معاييره ويأخذ بأسبابه، ويحسن التعامل معه، وعلى العكس من ذلك فإن فساد الذوق يجعل صاحبه يُحَسِّن ما هو قبيح ويقبح ما هو حسن ، أو يكون قاصر النظر في هذا الأمر فيرى الصورة غير واضحة ولا مكتملة، وفي هذا المبحث سيتناول الباحث الجمال في نقطتين الأولى حقيقة الجمال ومعاييره، والثانية تحقيق الجمال والتعامل معه، وذلك في ضوء الذوق الإسلامي بآدابه والذوق الغربي بقواعد الإتيكيت، وذلك فيما يلي:

المطلب الأول: الذوق الإسلامي في استشعار الجمال والتعامل معه.

تبين فيما سبق أن الذوق الإسلامي رباني المصدر حيث يستمد كل قوانينه وآدابه وسلوكياته من وحي الله تعالى ، والله هو خالق الخلق وما فيه من إبداع وجمال، وبالتالي فإن ما يأتي من عند الله من آداب وتشريعات تقدر الجمال وتبرز حقيقته، وكيفية التعامل معه، فلا يعرف قدر المخلوق إلا الخالق سبحانه، وبهذا يتوفر في الذوق الإسلامي بما يعتمد عليه من مصادر ربانية تمييز الجمال بمعناه الحقيقي، وتحقيقه بكل معانيه وصوره، والحفاظ عليه، ويتضح هذا من خلال ما يلي:

أولاً: حقيقة الجمال في ميزان الذوق الإسلامي:

الجَمَالُ في اللغة بمعنى: "الحُسْنُ ويكون فِي الفعل والخُلُقِ وفِي الخَلْق، وقيل هو الحسن الكثير، ويكون في نفس الإنسان أو بدنه أو فعله، ويقع على الصُّوَر والمعاني.

والجمال في الاصطلاح :" صفة تلحظ في الأشياء، وتبعث في النفس سروراً ورضىً ، وقيل هو: حسن الشيء وبعده عما ينفر منه سواء أكان الحسن ذاتياً فيه أو طارئاً عليه وسواء أكان حسياً أو معنوياً، فجمال الشيء وجوده على الوجه الذي ينبغي أن يكون عليه[١].

وبالتالي فإن الجمال يعني: الحُسْن في الخُلق والخَلْق، وفي النفس والبدن والسلوك، وهو على نوعين: حسي ويقصد به جمال الشكل والصورة الظاهرة، ومعنوي: وهو جمال الروح والخلق وما يتبعهما من سلوك حميد، وهذا ما أشار إليه الإمام ابن القيم – رحمه الله – في تقريره لحقيقة الجمال بقوله: " اعلم أن الجمال ينقسم قسمين؛ ظاهر وباطن، فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته، وهو جمال العلم والعقل والجود والعفة والشجاعة، وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده وموضع محبته، كما في الحديث الصحيح " إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ "[٢] وهذا الجمال الباطن يزين الصورة الظاهرة وإن لم تكن ذات جمال، فتكسوا صاحبها من الجمال والمهابة والحلاوة بحسب ما اكتست روحه من تلك الصفات، فإن المؤمن يُعْطَى مهابة

---

(١) ينظر: لسان العرب، ج١١ص١٢٣، تاج العروس، ج٢٨ص٢٣٦، المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ ٢٠٢/١، المعجم الفلسفي، دجميل صليبا، ٤٠٧/١، الشركة العربية للكتابة والطباعة والنشر والتوزيع بيروت،١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

(٢) صحيح مسلم،٨/١١/ ٦٧٠٨.

وحلاوة بحسب إيمانه، فمن رآه هابه ومن خالطه أحبه، وهذا أمر مشهود بالعيان، فإنك ترى الرجل الصالح المحسن ذا الأخلاق الجميلة من أحلى الناس صورة وإن كان أسوداً أو غير جميل، وأما الجمال الظاهر فزينة خص الله بها بعض الصور عن بعض وهي من زيادة الخلق التي قال الله تعالى ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاء ﴾[1]، قالوا هو الصوت الحسن والصورة الحسنة والقلوب مطبوعة على محبته كما هي مفطورة على استحسانه، وكما أن الجمال الباطن من أعظم نعم الله تعالى على عبده فالجمال الظاهر نعمة منه أيضا على عبده، يوجب شكرا، فإن شكره بتقواه وصيانته ازداد جمالا على جماله، وإن استعمل جماله في معاصيه سبحانه قلبه له شيئا ظاهرا في الدنيا قبل الآخرة، فتعود تلك المحاسن وحشة وقبحا وشينا، وينفر عنه من رآه، فحسن الباطن يعلو قبح الظاهر ويستره، وقبح الباطن يعلو جمال الظاهر ويستره"[2].

وبالتالي فإن أعلى درجات الجمال تتحقق عندما يجمع الإنسان بين صلاح القلب والخلق، وبين حسن الصورة، فمواصفات الجمال في الإنسان بعضها يتعلق بالمظهر الخارجي من هيئة وملبس وشكل وجسد، فالإنسان صاحب المظهر الجميل والهيئة الطيبة والريح الطيب يقال عليه صاحب ذوق، وبعضها يتعلق بالكيان الداخلي، ويُقصد به جمال الروح والخلق وهذا يظهر في سلوكه وآدابه، ويقال لمن يمتلك هذا الأمر أيضاً صاحب ذوق، تلك حقيقة الجمال كما يراها الإسلام.

ومن الحقائق المقررة في ميزان الذوق الإسلامي أن الجمال نسبي، فجمال الإنسان يتحقق بقدر ما يكتمل فيه من مواصفات خِلقية أو خُلقية، فلا يشترط

---

(١) سورة فاطر: ١ .

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م، ج١ص٢٢١ .

اكتمال كل مواصفات الجمال في الإنسان حتى يكون جميلاً، كما أنه لا يوصف بالقبح من حرم بعضها.

يقول الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله –: "كل شيء فجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له، فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال، وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر"(١).

بل إن هناك بُعْدا آخر للجمال في ميزان الذوق الإسلامي وهو جمال الكون وما فيه من مخلوقات، والقرآن الكريم ينمي ملكة الذوق عند المسلم في استشعار هذا النوع من الجمال، في كثير من المواضع القرآنية بلفت النظر إلى التأمل والتفكر فيما في كون الله وخلقه وما أودعه فيه من جمال وحسن لا يدركه إلا صاحب الذوق السليم والفطرة النقية، ومن تلك الآيات قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾ (٢)، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ (٣)، ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (٤)، ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(٥).

وهذا بعد آخر للجمال في الذوق الإسلامي، له مردوده الإيجابي على نفس الإنسان وفكره، وإيمانه بربه خالق الكون وما فيه من آيات الجمال.

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، دار المعرفة – بيروت، ج ٤ص٢٩٩.

(٢) سورة الحجر: ١٦.

(٣) سورة ق: ٦.

(٤) سورة النحل: ٦.

(٥) سورة النحل: ٨.

مما سبق يتضح أن الذوق الإسلامي في نظرته للجمال شمل كل الجوانب الحسية والمعنوية، والمتعلقة بالإنسان جسداً وروحاً، شكلاً وصورة، خلقاً وسلوكاً، بل والمتعلقة بالكون كله وما فيه من مخلوقات.

ثانياً: آداب وقواعد الذوق الإسلامي في التعامل مع الجمال:

لقد جاءت آداب الإسلام وذوقياته لتوجه الإنسان التوجيه الصحيح إلى حسن التعامل مع الجمال بكل صوره وأشكاله، وتحقيقه وإظهاره والمحافظة عليه، ومن تلك الآداب ما يلي:

١ . الإيمان بأن كل خلق الله حسن فلا يحتقر منه شيئا.

أول أدب من آداب الذوق الإسلامي المتعلقة بالجمال؛ أن خلق الله كله حسن، قال تعالى:﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَه ﴾ (١)، وفي حديث عَمْرَو بْنَ الشَّرِيدِ عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال:(كُلُّ خَلْقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَسَنٌ)(٢)، فالله – عزَّ وجلَّ – خلق الكون غاية في الإحسان والإبداع، وخلق المخلوقات والكائنات غاية في الجمال والإحسان، وخلق الإنسان غاية في الاعتدال، ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(٣)، فكل من توفرت فيه مواصفات الإنسانية شكلاً ومعنى فهو حسن وجميل.

غير أن هناك مَنْ فَضَّله الله ببعض الصفات الشكلية التي حرم غيره منها، ومن ثَمَّ عوضه مكانها بأشياء أخرى من باب التفاضل في الرزق، وتلك سنة من سنن

---

(١) سورة السجدة آية:٧.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث الشريد بن سويد،ج٣٢ص٢٢١حديث رقم١٩٤٧٢، مرجع سابق.

(٣) سورة التين آية: ٤.

الله في الخلق، ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ [١] والجمال نوع من الرزق.

وبالتالي فليس من الأدب والذوق مع الله ومع البشر احتقار فقير الجمال أو فاقده؛ ذلك لأن الله هو الذي خلقه وسواه، قال رجلٌ لحكيم: "يا قبيحَ الوجه! فقال: ما كان خَلْقُ وجهي إليَّ فأُحسنه"[٢]

فكيف يعاب على الإنسان في صنعة الله له؟

كما أن فقد بعض مواصفات الجمال الشكلية ليس معناه فقد الجمال كله، فقد يكون في هذا الشخص مواصفات جمالية أخرى غير ظاهرة، قد خبأها الله فيه وقد أشار الرسول الكريم ﷺ إلى هذا المعنى في الحديث الشريف عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ : (لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر أو قال غيره) [٣]، وفي هذا الحديث دلالة على أن الإنسان إن كان فيه من المواصفات ما يُبْغَض فإن فيه من صفات الجمال ما يُحَب، فما علينا إلا أن نبحث عن مواطن الجمال في أنفسنا وفي الآخرين، فما حَرَم الله إنساناً من شيء إلا وعوضه به شيئاً آخر في الدنيا أو الآخرة.

٢. الذوق في التجمل الشخصي وأمام العامة:

لقد جاءت آداب الإسلام وذوقياته لتشمل كل جوانب الجمال ومواطنه في الإنسان، بحيث يصبح في أجمل صورة وأحسن هيئة خلقه الله عليها وأرادها له، وتزيل عنه صفات القبح والدمامة، سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي للإنسان، وقد سبق تناول نماذج من تلك الآداب في مبحث سابق مما يغني عن

---

(١) سورة النحل آية: ٧١.

(٢)إحياء علوم الدين، ج٣ص ١٩٨.

(٣)صحيح مسلم، ج٢ص١٠٩١حديث رقم١٤٦٩.

إعادتها هنا، ويكفي في هذا الباب ذكر حديث أبي الدرداء – السالف الذكر – أن النبي ﷺ قال: (فَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ وَرِحَالَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّش)[١]، أي "كونوا في أحسن زي وهيئة حتى تظهروا للناس وينظروا إليكم، كما تظهر الشامة وينظر إليها دون باقي الجسد"[٢].

والمقصود أن يكون المسلم صاحب ذوق متميز في ملبسه وهيئته ومظهره وسلوكه، بصورة تلفت الأنظار وتشد الانتباه، وليس في هذا كبر ولا خيلاء وإنما جمال يحبه الله، إذ ليس من الذوق الإسلامي الظهور بمظهر سيء قبيح، ولا ثياب رث، ولا هيئة منفرة.

٣. الذوق في التزين والتجمل بين الزوجين: فإن آداب الإسلام التي تدعوا إلى التجمل والزينة لم تتوقف عند حد العوام أمام الناس وخارج البيت فحسب، ولكن الإسلام شرَّع من قواعد الذوق وآدابه ما يحقق الزينة والتجمل بين الزوجين دون قيود أو حدود إلا ما حرم الله، بل إن من الذوق الإسلامي أن تتجمل المرأة لزوجها بكل أنواع الزينة المباحة التي يحبها ويرغب فيها، ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾[٣]، حيث يأمر الإسلام الزوجة أن تكون في أحسن وأبهى صورة، وأن تهتم بجمالها الخاص بحيث يكون لافتاً لنظر زوجها، (خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك .. الحديث)[٤]، فقد عدّ الإسلام الجمال واحداً من الأسباب المرغبة في نكاح المرأة والداعمة لحياة زوجية سعيدة.

---

(١) سبق تخريج الحديث.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢ ص٤٣٦.

(٣) سورة الأعراف: ٣٢.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، ٦٩٣/٦، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، القاهرة: دار هجر، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

وهذه أم سليم – رضي الله عنها – لا تترك التجمل لزوجها في يوم شديد عصيب حيث مات ولدهما كما جاء في حديث سيدنا أَنَسٍ ﷺ قَالَ:(مَاتَ ابْنٌ لأَبِى طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ فَقَالَتْ لأَهْلِهَا لاَ تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ – قَالَ – فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً فَأَكَلَ وَشَرِبَ – فَقَالَ – ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذَلِكَ.... الحديث) [١]، أي: " تزيّنت، وتعطّرت وتجملت وأصله أحسن ما كانت تتزين له فتجملت وتعرضت" [٢] ويظهر من نص الحديث أن الصحابية الجليلة – رضي الله عنها – كانت عادتها التزين لزوجها قبل ذلك، كما يفهم من الحديث أنه إذا كانت تزينت لزوجها في يوم حزنها بتلك الزينة فما بالنا عند سرورها أو في حالاتها الطبيعية وعاداتها؟ لاريب أنها لن تترك التزين له.

وعلى قدر تجمل المرأة وتزينها لزوجها على قدر ذوقها وأدبها، وليس من الذوق في شيء أن تكون المرأة على خلاف ذلك، بحيث تتجمل وتتزين لعوام الناس، وتكون أمام زوجها بلا زينة.

وكذلك الحال مع الرجل أمام زوجته وأهل بيته، فمن الذوق الإسلامي تجمله لزوجته وتزينه لها بما تحبه، ولا يخرجه عن إطار الرجولة والأدب الإسلامي فعَنْ أمنا السيدة عَائِشَةَ – رضي الله عنها – ، قَالَتْ : (كُنْتُ أُرَجِّلُ رَأْسَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنَا حَائِضٌ) [٣] ، وعن سيدنا عبدالله بن عباسٍ – رضي الله عنهما – قال: "إِنِّى لأُحِبُّ أن أَتَزَيَّنَ لِلمَرأَةِ كما أُحِبُّ أن تَزَيَّنَ لِي، لأَنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يقولُ:

(١) صحيح مسلم ،ج٣ص١٦٨٩،حديث رقم ٢١٤٤.

(٢)البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي، دار ابن الجوزي، ط١/١٤٢٦ – ١٤٣٦ هـ، ج٣٩، ص٢٤٨، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ج٩ص٤٣١.

(٣) صحيح البخاري، ج ١ص١١٤حديث رقم ٢٩١.

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ ﴾" [١]، ويتضح من هذا أن الذوق الإسلامي اهتم بالجمال، وعمل على ظهوره بصورة منضبطة.

٤. الاهتمام بجمال الباطن: من الجوانب الجمالية التي اهتم الإسلام بها وجعلها عين الذوق والأدب، وهي من أهم مظاهر الجمال لدى الإنسان جمال الباطن أو جمال الروح، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ [٢] ، وقال سبحانه : ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[٣]، وقال عز وجل: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾[٤]، وآداب تزكية النفس وتطهير القلب أكثر من أن تحصى وقد أفر أفرد لها علماء التربية والسلوك الكتب والمجلدات، ولصفاء النفس وطهارة القلب وهو ما يعرف بجمال الباطن أو الروح أثر بالغ في جمال المظهر والشكر، فلا يبتسم ويبش في وجوه الآخرين بصدق إلا صاحب القلب السليم والنفس الطيبة ، كما أن جمال الروح أثره أقوى وأبقى في النفوس من جمال الشكل والصورة، كما يبقى وإن ضاع جمال الصورة أو ضعف.

٥. الذوق في جمال البيئة والأماكن الخاصة والعامة والمسخرات. لم يتوقف الذوق الإسلامي عند حدود الجمال في الإنسان بل تخطاه إلى الاهتمام بجمال البيت والطريق والبيئة عموماً، فوضع الآداب والتشريعات التي تراعي ذلك – وقد سبقت الإشارة إليها– حيث ظهر الذوق الإسلامي في هذا الجانب في أسمى صوره في الحضارة الإسلامية في صورة منشئات وأبنية وغيرها من نتاج مادي أبهر العالم المعاصر في جماله وذوقه.

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي، ١١٩/١٥/ ١٤٨٤٥ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٢٠/٤.

(٢) سورة الشمس:٩.

(٣) سورةالشعراء:٨٩.

(٤) سورة الفرقان:٦٣.

المطلب الثاني: معايير الجمال في الذوق الغربي والتعامل معه.

أولاً: معايير الجمال في الذوق الغربي:

لقد تعددت التصورات والرؤى الغربية قديماً وحديثاً لحقيقة الجمال ومعاييره، وتتلخص تلك الآراء والمذاهب[1] في قول من يرى: أن الجمال هو كل ما يستحسنه الذوق الإنساني (للفرد أو الجماعة) من المحسوسات، فمعيار الجمال هنا الحس البشري، وميدان الجمال هو ما يقع تحت الحس دون المعنويات، وأصحاب هذا المذهب يعتبرون أن الجمال الحقيقي هو ما تتصوره نفس الإنسان للأشياء وتخرجه في صور وتماثيل وأعمال فنية، فليس الجمال – عندهم – في الطبيعة ولكن في الأعمال التي تصور الطبيعة.

وهناك من يرى أن الشيء الجميل هو ما يحقق اللذة ويتوافق مع الذوق، بغض النظر عن قيمة هذا الشيء وجماله في ذاته من عدمه، فقد يكون الشيء في ذاته مكتمل المواصفات لكنه لا يحقق اللذة والاستمتاع لشخص فلا يعتبره ذوقه جميلا، وفئة ثالثة تعتبر الجمال قيمة تنبع من صميم الحياة، نتيجة تفاعل الإنسان مع البيئة الاجتماعية المحيطة به، وأما معيار الجمال عندهم فهو تحقيق النفع، وقيمته نسبية تتوقف على الأغراض التي تهدف إلى تحقيقها، فالشيء الجميل هو الذي يحقق منفعة أو مصلحة للإنسان، وبالتالي فإن المعايير

(١) ينظر:المذاهب الجمالية د/عزت السيد أحمد، طباعة ونشر جامعة تشرين اللاذقية .سوريا،ط١/١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ص٢٦١وما بعدها، ص٢٤٢وما بعدها. معايير الجمال في الرؤيتين: الإسلامية والغربية، د/ عبدالله محمد العمرو، بحث منشور بمجلة العلوم الشرعية، كلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد الثامن و الثلاثون محرم ١٤٣٧ هـ ص٤٦٣وما بعدها الخبرة الجمالية وأبعادها التربوية في فلسفة جون ديوي، د/ صابر جيدوري، بحث منشور بمجلة جامعة دمشق عدد٣/٢٠١٠م ج٢٦ ص٩١ وما بعدها، الجمال والفن بين المنظورين الغربي والإسلامي، د. صبري محمد خليل، مجلة فكر الإلكترونية https://www.fikrmag.com/article_details.php?article_id=٨٩٥.

التي اعتمدها الغربيون لتحديد الجمال قد تركزت في الذوق البشري للأفراد وحضور اللذة أو المنفعة والاستمتاع.

" والذوق أو المنفعة هي معايير بشرية قاصرة – في حال الاكتفاء بها– عن الارتقاء بالإنسان وتهذيب الحس الجمالي لديه؛ وذلك لما في الطبيعة البشرية من الضعف والقصور، ولما فيها من الميل مع الأهواء والاسترسال في الشهوات والاستمتاع بالجمال بعيداً عن ضوابط الفضيلة والأخلاق، وهذا ما يكشفه واقع المجتمعات الغربية وما انحدرت إليه من هوة سحيقة في اعتمادها تلك المعايير للجمال، حيث لم يعد للجمال – غالباً – صلة بالأخلاق؛ فالفن للفن بعيداً عن أي ضابط ديني أو خلقي، كما يظهر واضحاً في سعي المرأة الغربية للتجمل في بدنها ولباسها حيث شاع التهتك والتعري وما يثير الغرائز "(١).

وبالتالي فقد حصر الذوقُ الغربيُ الجمالَ في الجانب المادي المحسوس، في دائرة الصورة والشكل والمظهر دون الاهتمام بالروح أو بالكيان الداخلي والجانب الأخلاقي، ومن ثَمَّ وُضِعت مقاييس الجمال التي تركز في هذا الجانب، وظهرت فنون الآداب وقواعد الإتيكيت والسلوك التي تعززه وتهتم به وتظهره، سواء فيما يتعلق بالبيئة أو بالإنسان في الملبس والمظهر الخارجي بل والجسد نفسه، وهذا ما يتضح فيما يلي:

ثانياً: تعامل الذوق الغربي وقواعد الإتيكيت مع مظاهر الجمال:

١. الاهتمام بالجانب المادي للجمال والعمل على إظهاره بصور مبالغ فيها، وتلك نتيجة طبيعية لذلك التصور السابق للجمال وحقيقته، حيث جاءت قواعد الإتيكيت لتبرز هذا الجانب في الإنسان في ملبسه وصورته وهيئته بل حركاته

(١) معايير الجمال في الرؤيتين: الإسلامية والغربية، د/ عبدالله محمد العمرو، ص٤٧٦ بتصرف مرجع سابق.

وظهر تبعاً لذلك ما يعرف بالموضة[١] في الأزياء وقصات الشعر والزينة، حتى وصل الأمر إلى التحكم في الجسد ليوافق الموضة ويتماشى مع قواعد الإتيكيت، فيما يعرف بجراحات التجميل والتي لجأت النساء إليها للوصول إلى الشكل والجسم المثالي، حتى مَنْ هنَّ في قمة الجمال قمن بها للحفاظ على جمالهن[٢]، وأضحت تلك الموضة بقوانينها هي الحاكمة على معايير الجمال وضوابطه، حيث حلت محل الذوق الفطري السليم، وكانت مسايرة الموضة عندهم من الذوق أو هي الذوق ذاته، مهما كانت تلك الموضات تتعارض مع القيم الأخلاقية وتصطدم بالفطرة الإنسانية.

٢. كان التركيز في تحقيق الجمال وإبرازه على الجانب الظاهر للآخرين دون التركيز على الجانب الشخصي أو العلاقات القريبة والخاصة، حيث اهتمت قواعد الإتيكيت بمظهر الإنسان وسلوكه في المحافل العامة والمناسبات، وفي أماكن العمل والتجمعات وغيرها ولم تهتم بوضع القواعد أو الآداب التي تحقق الجمال على المستوى الشخصي أو العائلي، فقد تأخذ المرأة كل أسباب الزينة والجمال عند حضور مناسبة أو خارج البيت في الوقت الذي تهمل فيه تلك الأمور في بيتها.

---

(١)الموضة العالمية هي التي تضع الأساس لما هو مقبول من اللباس للمرأة ولما هو غير مقبول، وهي التي تحدّد المظهر الجذاب من غيره، ومن يضع المقاييس في كيفية تقديم المرأة نفسها هم مصممو الأزياء المشهورون وغالبيتهم من الرجال، ومثل هؤلاء يرون جمال الملابس في إظهار شكل المرأة وجسمها، وكلما كانت أقل ستراً كانت أكثر جمالاً. ينظر: مقاييس الجمال عند المرأة: بين الغرب والإسلام، مجلة الوعي الإسلامي ، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، العدد ١٩٩ – السنة ١٧ – شعبان ١٤٢٤هـ – تشرين الأول ٢٠٠٣م، النساء والموضة والأزياء، خالد بن عبدالرحمن الشايع، دار بلنسية الرياض ١٤١٢هـ.

(٢) في عام ٢٠٠١ أجرت الجمعية الأميركية للجراحة التقويمية الجمالية إحصاء كان هناك ٨,٥ مليون عملية تجميلٍ لإزالة الدهون، وجراحة الجفون، وتكبير النهد، وتغيير شكل الأنف، وشدّ الوجه، السابق نفس الموضع.

٣. لقد أثمرت تلك النظرة اهتماماً ملحوظاً بإظهار الحس الجمالي في البيئة والأماكن العامة والطرقات، وهذا أمر واضح وملحوظ في معظم المجتمعات الغربية المعاصرة.

٤. حصر الذوق الغربي – في نظرته تلك– الجمال في مواصفات خاصة ومقاييس معينة، بحيث لا يوصف بالجمال من لا تنطبق عليه، حيث نجدهم ينفرون من بعض فئات البشر الذين لا يمتلكون مثل تلك المواصفات ولا تنطبق عليهم المقاييس فإلى عهد قريب كانوا ينظرون إلى أصحاب البشرة السوداء على أنهم من جنس آخر، وكذلك الحال مع من يخالفون قواعدهم في الملبس أو المظهر، حيث يصفونهم بالتخلف وعدم الذوق(١).

٥ . القلق من فقد الجمال الشكلي أو ضعفه، لقد أسفرت تلك النظرة عن قلاقل واضطرابات نفسية لدى النساء في الغرب حتى عند من يُعْرفن في مجتمعاتهن بأيقونات الجمال حيث كانت حياة الكثيرات منهن مضطربة خوفاً من فقد الجمال وإهمالهن بعد ذلك، وقد انتهت حياة بعضهن إلى الانتحار لفقد معايير الجمال، كما أُصيبت الكثيرات بالقلق النفسي والعناء، بحثاً عن الجمال في أدوات الزينة وعمليات التجميل وتعذيب النفس والتعرض للتهلكة وربما فقد الحياة، كما هو الحال في المجتمعات الغربية ومَنْ يسير على دربها.

التعقيب والمقارنة: مما سبق يتضح ما يلي:

١. يتضح تميز الذوق الإسلامي في نظرته للجمال وتعامله معه، فقد جاءت نظرته للجمال نظرة متوازنة، فالجمال في الإسلام يقوم على أساسين؛ مادي

(١) فقد علّقت شاري بلير – زوجة رئيس وزراء بريطانيا سابقاً– بصراحة في سنة ٢٠٠١م في مؤتمرٍ صحفي على طريقة اللباس للمرأة المسلمة قائلةً: "لا أعتقد أن هناك ما يمثّل تخلّف المرأة أكثر من البرقع، وقال السياسي الفرنسي جان ماري لوبان عن الحجاب بأنه يبعدنا عن النساء القبيحات، مقاييس الجمال عند المرأة: بين الغرب والإسلام، مجلة الوعي الإسلامي ، مرجع سابق.

ومعنوي، المادي يتمثل في جمال الجسد والصورة والشكل وهو جمال ظاهر، وأما المعنوي فيتمثل في جمال الروح والعقل والخلق، وهو جمال باطن لا يُرى في ذاته ولكن يُرى أثره في سلوك الفرد وتصرفاته، كما أن له أثراً على جمال الظاهر، أما الذوق الغربي فقد ارتكز في نظرته للجمال وتقييمه على أخلاط من النظريات والأفكار البشرية التي ركزت على الجوانب المادية المحسوسة والظاهرة دون غيرها، وبالتالي فهي نظرة قاصرة ومعايير غير عادلة.

٢. جاءت آداب الإسلام لتهذب الذوق الإنساني في نظرته للجمال وتضبط سلوكيات التعامل معه، وتحققه وتبرزه في أبهى صورة وفي كل الميادين والمجالات والحالات بما يتوافق مع القيم الأخلاقية والفطرة الإنسانية، فحافظت على جمال الجسد وأظهرته في أبهى صورة وأحسنها، كما حققت جمال الباطن بتزكية النفس وتطهير القلب وتهذيب الخلق والسلوك، أما قواعد الإتيكيت فقد جاءت لتكون تابعة لذوق الغربيين ونظرتهم المادية للجمال وفلسفتهم له، ومن ثم فتلك النظرة حاكمة على الذوق وقواعد الإتيكيت.

٣. الجمال في الإسلام نسبي وهو موجود في كل خَلْق الله، ومنه ما هو فطري ومنه ما هو مكتسب، أما في الذوق الغربي فالجمال له مقاييس معينة لا يوصف به إلا من توفرت فيه، تلك المقاييس تتغير من وقت لآخر في الصورة والجسم والملبس والهيئة وغيرها، فما كان من الذوق الجمالي بالأمس أصبح قبيحاً اليوم، وما يستحسنه الذوق اليوم يستقبحه غداً وهكذا.

٤. واقعية الذوق الإسلامي في نظرته وتعامله مع الجمال حيث راعى كل الجوانب الجمالية في حياة الإنسان ولم يُقَيِّم الجمال في الإنسان على أساس الأمور الفطرية – فقط – التي لا دخل له فيها أما الذوق الغربي في نظرته للجمال فقد ركز على الصورة والشكل، وتلك كلها أشياء خِلقية وفطرية في الإنسان لا دخل له فيها، وهي نسبية تختلف من إنسان لآخر، في الوقت الذي تهمل فيه المعايير الأخلاقية للجمال أو الأشياء الكسبية التي هي محل اجتهاد من الناس وتنافس،

وهذا بدوره عمق القلق النفسي والاكتئاب عند الكثيرين نتيجة عدم الرضا عن أنفسهم، ومِنْ ثمَّ افتقاد السلام النفسي لديهم.

وأخيراً فشتان بين ذوق جمالي ارتكز عل أسس ربانية واعتمد معايير جاءت من عند الله جالق الجمال، وبين ذوق ارتكز على أسس بشرية واعتمد المتعة والشهوة والمنفعة كمعايير للجمال.

المبحث الخامس

القبول والالتزام بقواعد الذوق الإنساني □ بين آداب الإسلام وقواعد الإتيكيت.

إن أي تشريع أو قانون لا بد له من ضمانات لقبوله والالتزام به من قبل الأفراد والجماعات، قد تكون تلك الضمانات ذاتية نابعة من ذات التشريع أو القانون، وقد تكون خارجية تأتي من قِبَلِ المشرع أو القائم على تنفيذه، وعلى قدر امتلاك ذلك التشريع أو القانون من الضمانات والخصائص على قدر قبوله والالتزام به، والذوق الإنساني بما يشتمله من آداب وقواعد جزء من تلك التشريعات التي تفتقر إلى صفة القبول والالتزام، إذ إن افتقار آدابه وقواعده إلى تلك الخاصية يفقده قيمته وإمكانية الالتزام به، وفيما يلي بيان لذلك على الجانبين الإسلامي والغربي:

المطلب الأول: ضمانات القبول والالتزام بآداب الذوق الإسلامي.

لقد ارتبطت آداب الإسلام بالدين فهي جزء منه، مما جعل لها مكانة عليا في نفوس المسلمين وحياتهم، حيث صارت تلك الآداب روحاً يتعايش بها المسلم مع من وما حوله، في كل حالاته وأوقاته، وأماكن تواجده، إذ إن الالتزام بالذوق والأدب من قبل المسلم لا يتوقف على سبب، ولا ينطلق من منفعة ذاتية أو رقابة خارجية، بل إنه ينبع من ضمير المسلم ووجدانه، فقبول الذوق والالتزام بآدابه يرجع إلى ما تتميز به آداب الإسلام من ميزات تدفع المسلم إلى قبولها والالتزام بها، وهي بمثابة ضمانات للتطبيق والإلزام، ويتضح هذا فيما يلي:

أولاً: مصداقية الآداب الإسلامية وموثوقيتها: إن من أول وأهم ما يدفع الإنسان إلى احترام آداب الإسلام وذوقياته وقبولها اكتسابها الثقة والمصداقية؛ وهذا يرجع لأمور من أهمها:

١. كون تلك الآداب جاءت من عند الله تعالى: فقد تبين فيما سبق أن الذوق الإسلامي بما يرتكز عليه من آداب وشرائع جاء من عند الله رب العالمين، فمصدره الوحي السماوي قرأناً وسنة، وهذا الأمر يعطي الذوق الإسلامي وآدابه وأخلاقياته موثوقية لدي المسلم، ومن ثم احتراماً وقبولاً والتزاماً، فالمسلم عندما يعلم أن تلك الآداب مستمدة من كتاب الله الكريم، وسنة رسوله ﷺ فسرعان ما يتلقاها بالقبول والإذعان والتطبيق، حتى وإن قصَّر في تطبيقها والالتزام بها إلا أنه تبقى لتلك الآداب قداستها في نفس المؤمن.

٢. واقعية الذوق الإسلامي وموافقة آدابه للعقل: لقد تبين –فيما سبق – أن آداب الإسلام وذوقياته راعت طبيعة الإنسان وغرائزه ومشاعره وعواطفه والحالات التي تطرأ عليه، كما راعت مواطن الجمال والحسن في الإنسان والحياة وعملت على تعزيزها وإبرازها بكل جوانبها المادية والمعنوية، وهذه الأمور بدورها فيها إقناع للعقل وإشباع للوجدان، وكل ما كان كذلك سهل على النفس تقبله والالتزام به عن قناعة.

٣. الثبات والحفظ من التغير والتقلب، فآداب الإسلام منذ أن نزلت في نصوص القرآن الكريم وامتثلها رسول الله ﷺ سنة عملية في حياته وصحابته من بعده وهي هي إلى أن تقوم الساعة، محفوظة من التغيير والتبديل بحفظ الدين التي هي جزء منه قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون ﴾(١).

ثانياً: موافقة الفطرة السليمة: الفطرة السليمة جبلت على حب وقبول كل ما جاء من عند بارئها – سبحانه – ومن ذلك الخلق الحسن والسلوك القويم والذوق الجميل، إذ هي صنعة الله والذوق والخلق من عند الله ، وبالتالي فالنفس الإنسانية السليمة بفطرتها النقية تتقبل آداب الإسلام ومن ثم تلتزم بها، بل إن غير المسلمين عندما تصلهم ذوقيات الإسلام وآدابه الصحيحة وصورته الصافية

(١) سورة الحجر آية: ٩ .

سرعان ما يعتنقون الإسلام لموافقتها لفطرتهم النقية، وإن من أهم أسباب انتشار الإسلام قديماً وحديثاً تلك الذوقيات الإنسانية الراقية التي تمثلها المسلمون في سلوكياتهم ومعاملاتهم مع غير المسلمين، تقول إحدى المعتنقات للإسلام "أول شيء وقع في قلبي هو ذوق الإسلام في التعامل مع الآخرين"(١)، ولا يصطدم بتلك الذوقيات إلا من انتكست فطرته وتعكرت سريرته، واتبع هواه وشهوته.

ثالثاً: ارتباط الذوق بالعبادة وإرضاء الله تعالى: إن الآداب والأخلاق الإسلامية – كما سبق بيانه– هي جزء من الدين، والتي ينبغي أن يتعبد بها المسلم لربه سبحانه، بل إن الآداب من شعب الإيمان وعلامة عليه، وقد أشار الرسول الكريم ﷺ إلى ذلك عندما جعل إماطة الأذى عن الطريق – وهو من الذوقيات العامة – من شعب الإيمان، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :(الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ) (٢)، فالآداب التي تُعد في المجتمعات الأخرى عادات أو قوانين، هي في الإسلام من العبادات التي يتقرب بها المسلم لله ويؤجر عليها، وعندما يرتبط الأمر بالعبادة والسنة فإن الالتزام به يكون أكثر والمحافظة عليه تكون أكبر، فمثلاً: " أرادت إحدى الشركات أن تمنع العاملين فيها من التدخين ووضعت لافتات تتكلم عن مخاطر التدخين ثم قررت حسم مبالغ مالية لمن يُضبط وهو يدخِّن، لكن كل هذه الإجراءات لم تلق نجاحاً، حتى خطرت فكرة في ذهن أحد العالمين في الشركة، حيث كُتبت لافتات تحمل الحديث الشريف: (فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ

(١)سيدة انجليزية كانت تعمل مع شابين مسلمين وقد لاحظت أن الشابين دائما يتحدثان بالعربية في غيابها وعندما تحضر يغيران الحديث بالإنجليزية، فسألتهما عن السبب فأخبراها أن نبيهم نهى عن المناجاة بين اثنين في وجود الثالث، والتحدث بلغة مخالفة نوع من المناجاة، فقالت إن: إن نبيكم هذا حضاري، ودرست الإسلام واعتنقته. نقلاً عن : ذوقيات لأناقة الروح والسلوك ص٣٦مرجع سابق .

(٢) صحيح مسلم ج١ص٦٣حديث رقم٣٥ .

تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَم) [١]، ووضع تحتها صورة للسيجارة، وبعد مضي أيام قلائل كانت النتائج مبهرة إذ انخفضت نسبة المدخنين بشكل كبير، إن الذي حصل هو ربط قضية مهمة جداً بالآداب التعبدية التي يؤجر عليها ابن آدم"[٢].

فالتزام المسلم بالآداب الإسلامية وقواعد الذوق هو نوع من العبادة التي يتوجه بها لله رب العالمين تقرباً وخوفاً ورجاءً، حتى لو كانت تلك الآداب مما يتعلق بالعادات التي كان يفعلها رسول الله ﷺ، وبالتالي فإن دافع الالتزام بالذوق هنا دافع إيماني وعقدي، ينبع من وجدان المسلم ومدى تمسكه بدينه، وحبه لربه، واقتدائه برسوله ﷺ، فليست هناك حاجة إلى رقابة خارجية، وهذا يجعل المسلم يلتزم بتلك الآداب على كل المستويات وفي كل الحالات.

رابعاً: الرغبة فيما عند الله من ثواب وجزاء: إن الثواب والعقاب من مبادئ الإسلام الأصيلة التي انتهجها في تربية أتباعه، والمتتبع لنصوص الشرع الحنيف يتبين له أن الله – عز وجل – أعطى على الخُلق الحسن والأدب من الثواب والجزاء والفضل مالم يعطه على غيره من العبادات، حيث رفع درجة أهل الخُلق والأدب، وأعلى شأنهم ومنزلتهم، وأجزل لهم العطاء في أعلى الجنان، وفي نفس الوقت نفَّر من سوء الخُلق والفحش والتفحش والبذاءة وكلها ضد الذوق، ودليل عدم وجوده في الإنسان، والأدلة في هذا المجال أكثر من أن تحصى، فعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن المؤمن لَيُدْرِك بحُسْنِ خُلُقه دَرَجَة الصائم القائم)[٣]، وعن أبي الدرداء ﷺ، عن النبي ﷺ قال:

---

(١)صحيح مسلم، ج١،ص ٣٩٤، حديث رقم ٥٦٤ .

(٢) ذوقيات إسلامية، م عبداللطيف البريجاوي، ص٢٠ ، ٢١ مرجع سابق.

(٣)أخرجه أبو داوود في سننه وصححه الألباني، مختصر سنن أبي داوود وبه حكم الألباني، الحافظ المنذري مرجع سابق، ج٣،ص٣٠٩،حديث رقم ٤٧٩٧.

(ما مِنْ شيءٍ في الميزان أثقلُ من حُسْن الخلق) [١]، وقد جعل الإسلام التبسم في وجه المسلم من الصدقات، وبشاشة الوجه من المعروف، وإماطة الأذى من الطريق سبباً في مغفرة الذنوب والفوز بالجنة عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال (بينَما رجُلٌ يمشي بطريقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيق، فأخَذَهُ فأخَّرَهُ، فشكَرَ اللهُ له، فغَفَرَ له) [٢] وفي رواية عنه قال ﷺ : (دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي غُصْنِ شَجَرَةٍ أَوْ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ كَانَتْ فِي الطَّرِيقِ وَكَانَتْ تُؤْذِي أَهْلَ الطَّرِيقِ، فَمَرَّ رَجُلٌ فَقَطَعَهُ فَحُوسِبَ بِهِ فَغُفِرَ لَهُ) [٣]، فأي دين أو منهج غير الإسلام جعل نظافة الطريق وجماله نوع من العبادة التي تدخل صاحبها الجنة ؟!

لقد وضع الإسلام الكثير من الحوافز التي تدفع إلى التنافس في الالتزام بالآداب والذوقيات الإسلامية للفوز بما وعد به الله تعالى عباده المؤمنين من مكانة وفضل، ولذلك فإن الإسلام لم يضع حداً معيناً يصل الإنسان إليه في أمور الذوق بل إن مجال التنافس في الالتزام بالذوق والأدب الإسلامي لا حدود له ولا منتهى.

خامساً: ما يترتب على الالتزام بالذوق من خير وصلاح للفرد وترابط واستقرار للمجتمع.

من الحوافز التي تدفع إلى الالتزام بآداب الإسلام ما يترتب على ذلك من خير وصلاح وسعادة تعود على الفرد، ورقي حضاري للمجتمع في شتى مجالات

---

(١)أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد والإمام الترمذي في سننه وصححه الألباني، الأدب المفرد المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩ ج١ ص١٠٣حديث رقم ٢٧٠، سنن الترمذي مرجع سابق، ج٤ ص٣٦٣حديث رقم ٢٧٠.

(٢) صحيح البخاري ج١ص٢٣٣حديث رقم٦٢٤.

(٣) صحيح مسلم ج١ص٦٣حديث رقم٣٥ .

الحياة على المستوى المادي والمعنوي، فأما على مستوى الأفراد فإن أول ما يعود على الفرد المسلم من التزامه بتلك الآداب ظهوره بمظهر حسن وسلوك طيب، وجمال في الهيئة ومن ثَمّ حب الناس وتقديرهم له، وحسن العلاقة بينه وبين الآخرين من الأقرباء وغيرهم هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الذوق الإسلامي وآدابه يحرر الإنسان من قيود التقاليد البشرية والعادات والأهواء النفسية، وبيوت الأزياء والموضات التي تتغير بتغير الفصول والأعوام، فكل ما يلتزم به المسلم هو من عند الله.

أما على مستوى المجتمع؛ فقد قدمت الحضارة الإسلامية الكثير من النماذج العملية في الرقي والسموق الحضاري للمجتمعات نتيجة التزام أفرادها بالذوق الإسلامي، والذي هو مادة الحياة للمعاملات والعلاقات، فالتزام المسلمين بآداب الإسلام يعود على المجتمع كله أفراد وجماعات بالخير والبركة والنفع، ويحقق الأمان والاستقرار للفرد والأسرة، والترابط والقوة للمجتمع، ولعل هذا ما أشار إليه الرسول ﷺ في الحديث الشريف، عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ :(لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ) [(١)]، حيث جعل الرسول ﷺ أدب التحية عاملا من عوامل المحبة والألفة بين أفراد المجتمع، " فإفشاء السلام لغير المعرفة من المؤمنين مفتاح التآلف، وباب المودة، وإفشاؤه بين المتعارفين يمكن الألفة، ويوثق المحبة، وإفشاؤه بين المتباعدين المتنافرين يرفع الوحشة، ويزيل الصدود ويجلب الرضا، ويخلق التقارب والتفاهم، ويقرب الوفاق والالتئام، وهذا الشيء الذي يعمل عمل السحر في النفوس، وعمل الطب والدواء في الأجسام هو إفشاء السلام، وإذا كان مفتاح المحبة هو السلام فإن أبرز ثمرات الإيمان هي المحبة"[(٢)].

(١) صحيح مسلم ج١ص٧٤حديث رقم ٥٤، مرجع سابق.

(٢) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، ج١ص٢٠١حديث رقم ٩٧ .

وهكذا الحال في كل آداب الإسلام؛ ذلك لأن كل فرد في المجتمع المسلم–حال التزامه بالذوق الإسلامي– يحرص على معاملة من حوله بصورة مثالية، فيراعي مشاعرهم، ويؤدي حقوقهم، ولا يفعل ما فيه ضررهم.

شبهة والرد عليها: قد يقول قائل؛ إن الواقع الآن يشهد بأن التزام المسلمين بآداب الإسلام وذوقياته التزام ضعيف، وبخاصة إذا ما قورن بالمجتمعات الغربية، والتي تظهر بصورة أكثر التزاماً.

والحقيقة أن الحكم على الذوق الإسلامي من خلال تصرفات الأفراد والمجتمعات غير صحيح، ذلك لأن هناك فارقاً بين الذوق الإسلامي كمنهج يرتكز على آداب وأخلاق وقوانين، وبين سلوكيات الأفراد ومدى التزامهم، فالحكم على المناهج وليس على سلوكيات الأفراد، والخلل الواقع الآن يتمثل في الأفراد والمجتمعات وليس في الذوق الإسلامي كمنهج، فالإسلام قدم منهجاً راقياً للذوق الإسلامي يحمل معه ضمانات وآليات التطبيق على المستوى النظري والعملي، حيث تم تطبيقه في عصور الإسلام الأولى، والتاريخ يشهد بأن المسلمين الأوائل امتثلوا هذا المنهج وقدموا للبشرية نموذجاً عملياً فريداً في الذوق والأدب لم تعرف البشرية مثله في السابق واللاحق، لكن الناس أهملوا ذلك الجانب عندما بعدوا عن الفهم الصحيح للإسلام، فليس العيب في الإسلام وآدابه وذوقياته، ولكن العيب في أتباعه.

هذا وإن كانت الصورة الظاهرة في بعض المجتمعات الإسلامية تبين ضعف الالتزام بآداب الإسلام وذوقياته إلا أنها لم تمت ولم تُمْح من الوجود، فالخير في الأمة المحمدية باق إلى يوم الدين، والحضارة الإسلامية قد تضعف لكن لا تموت.

المطلب الثاني: ضمانات القبول والالتزام بقواعد الإتيكيت الغربي:

على الرغم مما يشاع عن المجتمعات الغربية من الالتزام الشديد بقوانين الذوق والأدب أو ما يعرف بالإتيكيت والبروتوكول، إلا أن هذا التزام نسبي، يظهر في بعض الجوانب الحياتية ويختفي في كثير منها، ففي الوقت الذي نجد فيه الالتزام بقوانين الإتيكيت والبروتوكول في أعلى درجاته في المجالات العامة والمحافل والمناسبات نجد أن الالتزام يكاد يكون منعدماً على المستوى الشخصي والاجتماعي، وقد يلتزم الإنسان بقوانين الإتيكيت أمام الناس لكن عندما يكون مع نفسه لا يلتزم بها، بل إن من العجب أن تظهر أسمى آيات الأدب والإنسانية في التعامل مع قط أو كلب أو حيوان أليف، في الوقت الذي تنعدم فيه مع كثير من بني البشر لاختلاف في عرق أو لون، أو عدم وجود منفعة مادية، هذا بالإضافة إلى أن تلك القوانين غير مستساغة أو مقبولة لدى كثير من غير الغربيين، وهذا يرجع لعدة أمور:

أولاً: الافتقار إلى الدوافع الذاتية للالتزام والتطبيق:

فقوانين الإتيكيت والبروتوكول لا تمتلك الموثوقية أو المصداقية في مصدريتها، فقد تبين فيما سبق أن تلك القواعد نتيجة لأخلاط فكرية تتغير بتغير الأهواء والمشارب، كما أنها لا تتوافق مع الفطرة الإنسانية السليمة، حيث تتصادم في أحيان كثيرة معها، بالإضافة إلى أن بعضها يتصادم مع آداب وتعاليم الديانات السماوية، لهذا فإن تلك القوانين إذا لم يوجد لها ما يرافقها من ضمانات التطبيق الخارجية المفروضة من قبل البشر فإنها لن تجد لها نصيباً كبيراً من القبول والالتزام، وهذا يفسر التزام الأفراد في المجتمعات الغربية بقوانين الأدب والسلوك في بعض الأحيان دون بعض، ومع بعض الفئات والشخصيات دون البعض الآخر.

ثانياً: عدم وجود رقابة داخلية أو حوافز أخروية :

إن من آثار عدم ارتباط قوانين الإتيكيت الغربي بدين صحيح في المصدر والوجهة، جعلها تفتقر إلى أول مقوم من مقومات الالتزام، وهو وجود وازع داخلي يدفع الإنسان إلى الانقياد لتلك القوانين وتطبيقها، وكذلك الافتقار إلى ربط النفس بحوافز أخروية، وتشوقها إلى جزاء غير منقطع يدفعها إلى الالتزام والتمسك بتلك الآداب والصبر عليها، وبالتالي فإن الالتزام بتلك القوانين والبروتوكولات يتوقف على أمرين؛ أولهما: ما يتم فرضه من قبل – المجتمعات – من عقوبات أو حوافز لتطبيق تلك الآداب والسلوكيات، وثانيهما: ثقافة المجتمع ووعيه والتي تختلف من مجتمع لآخر ومن زمن لزمن آخر.

ثالثاً: قيام القوانين على أسس مادية بحتة:

إن قيام قواعد الإتكيت على أسس مادية بحتة – كما سبقت الإشارة – جعل الالتزام بها يتحقق حيث كانت المنفعة وإشباع اللذة والغرائز، وينعدم الذوق حيث انعدمت، فقد تطبق قواعد الذوق الإتيكيت والبروتوكول في أماكن العمل ومع المدراء أو العملاء والأصدقاء والأماكن العامة، وتهجر نهائياً في البيت ومع الأهل والأقارب، وقد يتعامل الأبناء مع الآباء بلا أدنى أدب أو ذوق لمجرد الشعور بالبلوغ وإمكانية الاستغناء عنهم، وقد يتعامل الرجل بقمة الذوق والأدب مع صديقته أو خليلته بدافع اللذة والشهوة، ولا يتعامل بنفس الأسلوب مع زوجته لانعدام الرغبة فيها.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه تحقق الغايات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وبعد،،،

فقد طوفت من خلال صفحات هذا البحث مع موضوع الذوق الإنساني بين آداب الإسلام والإتيكيت الغربي، وقد توصلت من خلال البحث في هذا الموضوع إلى ما يلي:

أولاً: أهم النتائج:

١. تميز الذوق الإسلامي في مصدره بالأصالة والثبات باعتماده على الوحي السماوي في معاييره وآدابه، في الوقت الذي اتسم فيه الإتيكيت الغربي بالحداثة واعتماده في مصدره على مذاهب وأفكار بشرية متغيرة ومتعددة المشارب والأهواء.

٢. الذوق الإسلامي ارتقت آدابه بالإنسان إلى أعلى درجات الذوق الإنساني فهذبت الغرائز، وراعت الطبائع البشرية، وحفظت المشاعر الإنسانية، كما اتسعت مساحته لترتقي بسلوك الإنسان مع كل من وما حوله من مخلوقات في كل زمان ومكان، أما الذوق الغربي انحدر بالغرائز البشرية إلى هوة الشهوة السحيقة، وجمَّد المشاعر والأحاسيس، كما انحصرت قواعد الإتيكيت في دائرة معينة من الناس.

٣. الالتزام بالذوق الإسلامي وتطبيق آدابه يحقق الجمال في أبهى صوره وأعلى درجاته في الإنسان على المستوى الحسي والمعنوي وفي الكون والحياة؛ ذلك لتفرد الذوق الإسلامي في نظرته للجمال وتحقيقه له، بينما الذوق الغربي فقد جاءت نظرته للجمال قاصرة على الماديات دون المعنويات وعلى ما يشبع الغرائز ويمتع النفوس دون ما يغذي الأرواح ويهذب السلوك.

٤. قدَّم الإسلام منهجاً للذوق على المستوى النظري والتطبيقي لم ترق البشرية لمثله في السابق واللاحق، يحمل في طياته ضمانات القبول والالتزام، وليس في تخلي المسلمين – أو نسبة منهم – عن اتباعه عيب في الذوق الإسلامي وآدابه أو قصور في منهجه، أما الإتيكيت الغربي فإنه وإن ظهر وعلا وجذب الأنظار فإنه كالزينة التي سرعان ما تزول عن الوجه الدميم ويبقى على دمامته، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ (١).

٥. الإسلام دين الذوق والأدب والرقي الإنساني، وليس كما يشاع وينشر من أنه دين الجفاء والغلظة والجمود.

ثانياً: أهم التوصيات:

١. أوصي الباحثين بالاهتمام بهذا الجانب المشرق والمنسي في الإسلام، وأقترح أن يقوم جماعة من الباحثين في الثقافة الإسلامية بعمل موسوعة شاملة وكاملة عن الذوق الإسلامي وهو عمل يحتاج إلى جهود كبيرة ومجلدات.

٢. أدعو رجال الفكر والدعوة والخطباء أن يولوا جانب الذوق والأدب أهمية في كتاباتهم وخطبهم ومواعظهم؛ ليظهروا عظمة الإسلام من جانب، ويرتقوا بذوق الناس ويحثوهم على الالتزام بآداب الإسلام من جانب آخر.

٣. أهيب بالآباء والمربين أن ينموا ملكة الذوق السليم في نفوس أبنائهم وطلابهم، ويربونهم على أدب الإسلام حتى تخرج للمجتمع أجيالاً تتسم بالرقي الإنساني والذوق في تعاملاتهم وعلاقاتهم، يعرفون حقوقهم وواجباتهم وتنعم بهم أسرهم، وترقى بهم مجتمعاتهم.

٤. أهيب بوسائل الإعلام القائمين عليها والعاملين بها أن يراعوا آداب الإسلام والذوق السليم فيما يقدمون من مواد إعلامية، وأن يقدموا للناس مواد إعلامية

(١)سورة الرعد آية: ١٧.

تبرز مثل تلك الصفحات المشرقة عن الإسلام ورسوله وصحابته؛ ليرتقوا بالذوق الإنساني، فالإعلام من أعظم الوسائل الفعَّالة والناجحة في هذا الميدان.

وختاماً: أسأل الله – عز وجل – أن يوفقنا إلى ما فيه رضاه، وأن يرزقنا حسن الخلق، وأن يأخذ بنواصينا إليه أخذ الكرام عليه، وأن يرزقنا السعادة في الدَّارين، ورفقة سيد السعداء ﷺ في أعلى الفردوس، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أهم المراجع :

القرآن الكريم.

١. الإتيكيت العائلي، دكتور محمد حسن المرزوقي، دورة في فن التعامل مطبوعة مارس ٢٠٠٧م.

٢. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، دار المعرفة – بيروت.

٣. الآداب الشرعية، عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، ت: شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة .

بيروت، ط٣ ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٤. الأدب المفرد بالتعليقات، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، حققه سمير بن أمين الزهيري،

مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

٥. البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة أ.د/ عبد الله على سمك، ط أولى ١٩٩٤م.

٦. تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ٢٠١٤م.

٧. التربية فى الإسلام، د أحمد الأهوانى، دار المعارف مصر.

٨ . تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيترآن دُوزِي، ترجمة محمَّد سَليم النعَيمي،وزارة الثقافة، العراق، ط١،٢٠٠٠م.

٩. تيسيرُ علم أصول الفقه، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع، مؤسسة الريان للطباعة

والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

١٠. جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ت: أبي الأشبال الزهيري،

دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م.

١١. الجمال والفن بين المنظورين الغربي والإسلامي، د. صبري محمد خليل، مجلة فكر الإلكترونية .

١٢. الخبرة الجمالية وأبعادها التربوية في فلسفة جون ديوي، د/ صابر جيدوري، بحث منشور بمجلة جامعة

دمشق عدد٣/٢٠١٠م.

١٣. دبلوماسية الإتيكيت والمراسم في العمل السياحي، د.أحمد الجلاد، عالم الكتب،٢٠٠٩م.

١٤. دستور الأخلاق في القرآن، محمد بن عبد الله دراز ، مؤسسة الرسالة ط١٠، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

١٥. ذوقيات لأناقة الروح والسلوك، خالد بن صالح المنيف، مكتبة الملك فهد، ط الأولى/١٤٣٦هـ ٢٠١٥م.

١٦. رحمة للعالمين، محمد سليمان المنصورفوري، ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم،

دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، الأولى.

١٧. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار

الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٨. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن داود الطيالسي، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار

هجر، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

١٩. سنن الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق بشار معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.

٢٠. السنن الكبرى ، أبو بكر أحمد بن الحُسَين بن عليٍّ البيهقي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن

التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

٢١. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: مصطفى السقا وآخران،

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

٢٢. السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، دكتور أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع

٢٣. الشرائع والأخلاق بين الحضارة والانحطاط، محمد نجاح شبيب، دار الفكر بيروت.

٢٤. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري،:دار إحياء التراث العربي - بيروت،

تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي٢/١٠٩١/١٤٦٩.

٢٥. علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، مكتبة الدعوة، عن الطبعة الثامنة لدار القلم.

٢٦. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة –

بيروت، ١٣٧٩، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي وآخران.

٢٧. فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، دار الشروق، ط١، ٢٠٠٢ م.

٢٨. الفلسفة الرواقية، دكتور عثمان أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة القاهرة،١٣٦٤هـ ١٩٤٥م.

٢٩. فن الإتيكيت، شيرين المصري، كتاب إلكتروني، مكتبة نور.

٣٠. فن التعامل مع الناس، ديل كارنيجي، مكتبة جزيرة الورد، ط١/٢٠١٠م.

٣١. فن المعاملات أو الإتيكيت، د. ريمه الخاني، بحث إلكتروني منشور على شبكة الألوكة.

٣٢. فنون الإتيكيت وآداب السلوك والمعاملة الراقية، د. سناء محمد سليمان، عالم الكتب ط١/٢٠١١م.

٣٣. في الفلسفة والأخلاق، دكتور محمد كمال ابراهيم جعفر، دار الكتب الجامعية ١٩٦٨م.

٣٤. القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، دكتور مانع بن محمد بن على المانع ، دار الفضيلة

الرياض،ط١/١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٣٥. كواشف زيوف، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ –

١٩٩١م. ٣٦. الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، عبد المجيد حامد

صبح، دار المنارة، المنصورة – مصر، ط الثانية ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

٣٧. مدارج السالكين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ت: محمد المعتصم

بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣/١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

٣٨. المذاهب الجمالية د/عزت السيد أحمد، طباعة ونشر جامعة تشرين اللاذقية .سوريا،ط١/١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٣٩. مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، د . توفيق الطويل، مطبعة النهضة المصرية ط١/١٩٥٣م.

٤٠. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية – بيروت،

ط١،١٤١١ –١٩٩٠، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٤١. المستشرقون والإسلام، المهندس زكريا هاشم زكريا، سلسلة لجنة التعريف بالإسلام يصدرها المجلس الأعلى

للشئون الإسلامية مصر، إشراف محمد توفيق عويضة، الكتاب العشرون١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٤٢. مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، شعيب الأرناؤوط –

عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

٤٣. المشكلة الخلقية، دكتور زكريا ابراهيم، مكتبة مصر .

٤٤. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت.

٤٥. معايير الجمال في الرؤيتين: الإسلامية والغربية، د/ عبدالله محمد العمرو، بحث منشور بمجلة العلوم

الشرعية، كلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد الثامن و الثلاثون محرم ١٤٣٧ هـ .

٤٦. المعجم الفلسفي، دجميل صليبا، الشركة العربية للكتابة والطباعة والنشر والتوزيع بيروت،١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

٤٧. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب الطبعة:

الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٤٨. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان

عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ ٢٠٢/١.

٤٩. مقاييس الجمال عند المرأة: بين الغرب والإسلام، مجلة الوعي الإسلامي، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون

الإسلامية بدولة الكويت، العدد ١٩٩ – السنة السابعة عشرة – شعبان ١٤٢٤هـ – تشرين الأول ٢٠٠٣م.

٥٠. الموسوعة العربية العالمية، ط٢، الرياض: ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٥١. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.

٥٢. الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، أد/ محمد مصطفى الزحيلي، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق

سوريا، ط٢، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.

٥٣. حوارات مع أوروبيين غير مسلمين د/ عبد الله أحمد قادري الاهدل دار القلم، ط١/١٤١٠هـ١٩٩٠م.

الفهرس

Contents

ملخص الدراسة ٩
مقدمة ١١
منهج البحث وحدود الدراسة: ١٤
خطة الدراسة ١٦
التمهيد ١٨
المبحث الأول ٢٤
مصدر الذوق الإنساني بين آداب الإسلام والإتيكيت. ٢٤
المطلب الأول: مصدر الذوق الإنساني في الإسلام ودوره في الارتقاء به. ٢٤
المطلب الثاني: مصدر الإتيكيت الغربي وأثره على الذوق الإنساني. ٣٠
ثانياً: الاقتباس من الحضارة الإسلامية: ٣٣
ثالثاً: ظهور الإتيكيت كمصطلح وفن: ٣٥
المبحث الثاني ٣٨
الذوق في التعامل مع النفس البشرية بين آداب الإسلام والأتيكيت. ٣٨
أولاً: الذوق في التعامل مع الطبائع البشرية والعادات والأعراف: ٣٨
ثانياً: الذوق الإسلامي في التعامل مع الغرائز الإنسانية ٤٢
المطلب الثاني: موقف الذوق الغربي من الغرائز والمشاعر الإنسانية. ٥٠
المبحث الثالث ٥٨
مساحة الذوق في العلاقات الإنسانية بين آداب الإسلام والإتيكيت ٥٨
المطلب الأول: مساحة الذوق الإسلامي في العلاقات والمعاملات الإنسانية. ٥٨
المطلب الثاني: مساحة الذوق الإنساني في قواعد الإتيكيت: ٧٧
المبحث الرابع ٨٥
الذوق في استشعار الجمال والتعامل معه بين آداب الإسلام والإتيكيت. ٨٥
المطلب الأول: الذوق الإسلامي في استشعار الجمال والتعامل معه. ٨٥
المبحث الخامس ١٠٠
القبول والالتزام بقواعد الذوق الإنساني ١٠٠
بين آداب الإسلام وقواعد الإتيكيت. ١٠٠

المطلب الأول: ضمانات القبول والالتزام بآداب الذوق الإسلامي. ١٠٠
الخاتمة ١٠٩
أولاً: أهم النتائج: ١٠٩
ثانياً: أهم التوصيات: ١١٠
أهم المراجع : ١١٢
٣١ـ فن المعاملات أو الإتيكيت، د. ريمه الخاني، بحث إلكتروني منشور على شبكة الألوكة.. ١١٥
٤٩ـ مقاييس الجمال عند المرأة: بين الغرب والإسلام، مجلة الوعي الإسلامي، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون ١١٧
الإسلامية بدولة الكويت، العدد ١٩٩ – السنة السابعة عشرة – شعبان ١٤٢٤هـ – تشرين الأول ٢٠٠٣م. ١١٨
٥٠ـ الموسوعة العربية العالمية، ط٢، الرياض: ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م. ١١٨
٥١ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي. ١١٨
الفهرس ١١٩